

رواية
مريم الحيسي
إنني أتعفن رعباً


إنني أتعفن رعباً

الإهـــداء

«إلـى كوابيســي التـي كانــت مصــدر إلهامــي شــكراً لـكِ، بقـدر مـا كنـتِ مرعبـة بقـدر مـا كنـتِ إلهامـاً حقيقيّاً لي»..

ماريـــا

مقدمة

يقول فان جوخ:

إلى أين تمضي الحياة بي؟ وما الذي يصنعه العقل بنا؟ إنه يفقد الأشياء بهجتها ويقودنا نحو الكآبة!

وأنا أقول:

إلى أين تمضي الحياة بي؟ وما الذي تصنعه كوابيسي بي؟ كل أحلامي وكوابيسي تقودني نحو الكآبة والجنون!

إنني أتعفن رعباً وخوفاً وهلعاً لولا ريشتي وألواني هذه، أعيد بها خلق كوابيسي من جديد على ألواح الكانفس حتى تخرج من باطن عقلي وتستقر على لوحة بيضاء..

ماذا أصنع؟ أريد أن أبتكر خطوطاً وألواناً جديدة غير تلك التي تتعثر بها حياتي كل يوم..

كل الألوان والرسومات لها بريق بشع ومخيف ومرعب وكئيب في عقلي، وهل هي هكذا في الطبيعة؟ أم أن عقلي المريض؟

دائماً أتساءل: هل كل رسام كئيب؟ أم كل كئيب رسام؟ رغم أننا نمارس أجمل موهبة زرعت على الأرض لكن لمَ ينتهي المطاف دائماً بنا نحو التعاسة؟

عني أنا لا أعرف هل أبتكر فنّاً جديداً؟ هل أرسم عالماً وخطوطاً وألواناً جديدة؟ أم هل اتجهت إلى طريق الفن لكي أرمي بكوابيسي على أشخاص آخرين؟ أم هل أنا أصنع وحوشاً جديدة؟! وحوشاً تغزو هذا العالم، وحوشاً مخلوقة من كوابيسي وأصبحت في لوحات فنية..

ماريا..

ملاحظة:

قبل أن تبدأ جميع الرسومات في الكتاب تعود إلي أنا، بعضها مقتبس من أفكاري بعضها مقتبس من عقلي وأكثرها مقتبسة من كوابيسي وجميعها رسمت بيدي، الرجاء عدم التعمق فيها حتى لا تصبح كوابيسي هي كوابيسك..»

ماريا الحيسي..

«كابوس داخل كابوس»

أجلس على كرسي خشبي هزاز في غرفة فارغة لا تحتوي على أي غرض، أمامي فقط لوحة بيضاء عملاقة الحجم، بجانبها طاولة عليها فرش رسم ولون واحد وهو الأسود! اللون الأسود هو لوني المفضل بالطبع، أحب أن أتعامل مع كل شيء باللون الأسود لذلك حياتي أصبحت سوداء اللون بدون ألوان، أمسكت بالفرشاة وغمستها في اللون الأسود وبدأت أخط بها على اللوحة العملاقة بدون توقف بدون أن أشعر بنفسي استمررت بالرسم من دون نفس واحد حتى انتهيت! نظرت إلى اللوحة وقد اكتملت الرسمة وكانت كالتالي:

امرأة ذات عينين سوداوين مع فمها المفتوح باتساع ثلاثة أمتار في فمها يوجد رجل ذو رأسين تسيل الدماء من عيونه الأربع، وأيضاً كان يصرخ من فميه الاثنين فمه الأول بداخله أوجه بشعة كثيرة وجميعها تصرخ والفم الثاني في الرأس الثاني بداخله امرأة تصرخ وتلتهم طفلها الرضيع!! كانت لوحة بشعة عبارة عن رسمة بداخل رسمة، قطع تأملي في الرسمة صوت صرير باب يفتح التفت خلفي كان هناك باب خشبي وهو الباب الوحيد بالغرفة وكان يفتح بهدوء مميت بدأت أشعر بالتوتر قلبي أصبح يخفق بسرعة، التفت إلى اللوحة مرة أخرى وجدت ألوانها تسيل هل اللوحة تبكي من الخوف مثلي؟ عدت ونظرت إلى الباب ببطء ثم!!؟؟

شهقت بقوة وفتحت عينيّ لأجد نفسي أتصبب عرقاً وعلى وشك أن أغرق به فوق سريري! نعم بالطبع كالعادة كان كابوساً لا يقل رعباً وغرابة عن الكوابيس الأخرى التي أراها طوال الـ ١٦ عاماً في حياتي..

١٦ عاماً وأنا أعيش في زحام هذه الكوابيس بدأت معي فجاءة بدون سابق إنذار لا أعلم مصدرها ولا أعلم سببها؟ لا أتذكر أنني تعرضت لحادثة مخيفة لكي أصبح معقدة ولا أي شيء آخر! لم أترك ولا طبيباً نفسيّاً إلا وقمت بزيارته، ولم أترك أي علاج إلا وتناولته، لم أترك ولا مستشفىً في البلاد إلا ودخلته اضطرت أمي أن تعرض حالتي في مواقع كثيرة في الإنترنت المواقع التي تخص الحالات الغريبة والنادرة لكن بدون أي فائدة..!

عندما كنت في الـ ١٨ من عمري اكتشفت بالمصادفة علاجاً أو بالأحرى شيئاً يجعل الكوابيس لا تتكرر تلك الكوابيس التي تتكرر معي وتزعجني وتقتلني وأنا حية التي تأخذ من عمري وروحي شيئاً فشيئاً منعتها عن التكرار، أخبرتني أمي أن الكوابيس الصغيرة مجرد كوابيس يجب ألا أعطيها أكبر من حجمها يجب أن أمنعها أن تأكل مني في كل مرة تتكرر وتكبر، لذلك قالت لي: ارسمي تلك الكوابيس الصغيرة ارسميها ودعيها تخرج من عقلك، فكل كابوس تخرجينه إلى أرض الواقع سيموت في مخيلتك ولن يزعجك مرة أخرى، إن الكوابيس لا تستطيع أن تعيش في الواقع إنها تحيا في الخيال فقط كانت خطة نوعاً ما ناجحة ومن هنا أصبحت رسامة مع

الممارسـة لكـن كلام أمـي حـول مـوت الكوابيـس إذا أصبحت في الواقع يبدو أنه كان خطأً..!

أغلـب كوابيسـي أصبحت أراهـا مرة واحـدة ولا تتكـرر أصبحت عندما أرى كابوسـاً أسـتيقظ وأبدأ برسـم أحداث الكابوس والشـخصيات الموجـودة فيـه بسـرعة كل كابـوس أرسـمه أصبـح لا يأتينـي مـرة أخـرى كانت أمـي محقة أنـه يموت فـي اللوحـة ولكن لم أكـن أعلم بأنها ستحيا من جديد!

مـن ثمانية أعـوام تقريبـاً وأنا رسـامة ترسـم كوابيسـها أتذكـر أول لوحة رسـمتها وأنـا في السـنة الأولى مـن الجامعة كيـف كان الجميع يلقبوننـي بغريبـة أطـوار عندمـا يسـألني الجميـع: مـا هـو مصـدر إلهامك لهذه الرسومات المخيفة والغريبة؟

دائماً يكون جوابي: كوابيسي هي مصدر إلهامي وأفكاري..

أصبحـت مـع السـنوات رسـامة مشـهورة وناجحـة أنـا الآن أبيـع كوابيسـي إلـى العالـم بثمـن عـالٍ، دائمـاً أكتـب خلـف اللوحـة مـع توقيعــي: «احــذر أن تتأمــل اللوحــة كثيــراً لأن الكابــوس قــد ينتقل إليك»

بالطبـع يظنـون أنني أفعل ذلـك من باب التشـويق وجـذب الانتباه لكسـب المبيعـات، لكـن أنـا محقـة حيـث أتذكر قبل سـت سـنوات تواصـل معـي شـخص مجهـول يقـول بأنـه اشـترى إحـدى لوحاتي يقـول هـذا الرجـل بأنـه أصبح يـرى مـا بداخـل اللوحـة يخـرج إليه! لـم أصدقـه فـي المـرة الأولـى وظننـت أنـه مثـل أشـخاص كثيريـن

يرسلون لي المزحة أو الكذبة نفسها لكن أرسل لي إيميلاً آخر وكان وصف الكابوس نفسه بالتفصيل الدقيق الذي رأيته أنا رغم أنني لا أخبر أي أحد عمّا أراه في الكوابيس!! بعدها أرسلت رسالة له أنني أريد مقابلته لكن لم يرد أبداً ولم يرسل أي شيء آخر أبداً حتى هذا اليوم! لا أعلم إذا صادف الشيء نفسه مع شخص آخر غيره أو هو الوحيد الذي حدث له ذلك؟؟

حسناً نسيت أن أعرفكم على نفسي:

اسمي ماريا أبلغ من العمر ٢٧ عاماً، لا يوجد شيء آخر أستطيع أن أخبركم به لأنني لا أملك أي شيء حياتي فارغة كفراغ لوحة تنتظر رسامها يأتي ويملؤها بالألوان والعوالم والأشخاص، لولا كوابيسي وعلاج أمي لما كنت أرسم وكنت فقط مستلقية وأتنفس! نعم أنا شديدة الكسل كسولٌ لدرجة لو كان التنفس يطلب مجهوداً كنت سأتوقف عن التنفس، تخرجت من الجامعة بمجهود شخصي ودرست والتحقت بالجامعة لأنها عادات وتقاليد العالم فالجميع يدرسون لذا يجب أن أدرس، درست التخصص الأقل تعباً ومجهوداً نعم لا أمزح لقد بحثت عنه حتى وجدت أنه تخصص لا يتطلب الكثير سوى الحفظ فأنا ماهرة في الحفظ وقليلة النسيان أوه هذا جيد لدي موهبتان،، حسناً بعد تخرجي لم أحاول ولم أفكر أصلاً أن أبحث عن وظيفة لأنني لا أستطيع تحمل المشقة والتعب على مرتب في نهاية الشهر غير محفز حتى، هذا المرتب أنا أستطيع أن أحصل عليه أضعافاً وأضعافاً في يوم واحد من بيع لوحة واحدة!!

لا أحد يلومني على هذه الصفة أو اللعنة لأن الكسل لم أحصل عليه إلا بسبب تلك الكوابيس هذه الكوابيس تأخذ من نشاطي وشغفي للحياة ومن نفسيتي ومن روحي شيئاً ضخماً، بعد كل كابوس أستيقظ منه أشعر بأنني لا أريد أي شيء ولا أرغب في أي شيء أظل مستلقية على سريري أستعيد أنفاسي ببطء لمدة ساعة أو ساعة ونصف الساعة تقريباً بعدها أنهض وأرسم الكابوس بعدها أعرض اللوحة في موقعي ويتكدس المشترون عليها بعدها لا شيء، يتكرر الروتين هذه هي حياتي باختصار قبل أن تخرج الكوابيس من اللوحات إلى أرض الواقع..!!

«الرجـل المعلـق»

بـدأ كل ذلك من هـذا الكابـوس! الكابـوس الذي لطالمـا لازمني مـدى الحيـاة أول كابـوس وحتى هـذه اللحظـة مـا زال يرافقنـي أراه فـي الأسـبوع الواحد مـا يقـارب مرتيـن! مـع الكوابيس الأخـرى هو الثابـت وهـي المتحركـة، هـذا الكابـوس يظـل يتكـرر ويتكرر مـراراً وتكـراراً بـدون ملـل أو حتـى بـدون تغيـر واختـلاف فـي الأحـداث يتكـرر كالمـوت البطيء كالمـرض القاتـل البطـيء يأخذ مـن روحي مـع كل مـرة قطعـة، هـذا هـو الكابـوس الأكثـر تكـراراً فـي جميـع الكوابيس هذا الكابوس أصبح يلازمني كظلي..!

والغريـب فـي هـذا الكابـوس أننـي لـم أسـتطعْ رسـمه أبـداً لكي أتخلص منـه! فـي كل مرة أحـاول أن أرسـمه أفشـل!! رغم أنـه ليس بتلـك الصعوبـة لقد رسـمت بالفعـل كوابيس أصعـب وأكثـر تعقيداً! لكـن هـذا الكابـوس يختلـف بالفعـل فـي كل شـيء أشـعر بأنـه أكثر كابوس خنقـاً واختناقاً رغـم أن مدته لا تتجـاوز الثـلاث الدقائق لكن عندما أراه أشعر بأنني أجلس به ثلاثة أعوام!.

«أستيقظ مـن النـوم أشـعر بعطش لم أشـعر بـه فـي حياتـي أبداً! وكأننـي أرض قاحلـة لـم يروِهـا المطـر منـذ سـنوات، أشـعر بـدوار شـديد وكأن الارض تهـوي بـي عـدة مـرات أتماسـك وأنهـض مـن السـرير أضـع قدمـيّ علـى الأرض بصعوبـة أسـير إلـى الأمـام أفتـح باب الغرفـة وأشـعر بأنني طائـرة في الهـواء من شـدة الـدوران، أنزل

من السلالم أراها لا تنتهي متكررة مليون مرة أظل أنزل وأنزل وأنزل حتى تنتهي بعد معاناة وإرهاق وتعب وكأنني مسافرة سيراً على الأقدام أخيراً أصل إلى الطابق الأول، أريد المطبخ لكي أشرب بعض الماء أبدأ برؤية أنوار المطبخ هي الوحيدة المضاءة في المنزل

أخيراً أصل إلى مدخل المطبخ بعد رحلة طويلة أدخل بأقدام وجسد ترتعش ولكن أتوقف فجأة! وأرى رجلاً في منتصف المطبخ معلقاً بالسقف! أشهق شهقة قوية وكأنها شهقة الموت قلبي ينبض بسرعة وبقوة لدرجة أشعر بأنه سيخرج من بين أضلعي! جسدي يرتعش، تراجعت للخلف وعيناي تتسعان أكثر وهما تراقبان هذا الرجل المعلق أو بالأحرى المشنوق أو المنتحر كانت أقدامه بيضاء شاحبة مزرقة ولا ينتعل حذاء، يرتدي بنطالاً أسود وسيعاً قطنيّاً لا أعلم موديل هذا البنطال لكنه يبدو قديماً، أرفع عينيَّ ببطء وأميل رأسي أكثر أحاول أن أرى وجهه كالعادة وقلبي دقاته تزداد سرعة أشعر بأن روحي تُسلَب مني ببطء! لكن في كل مرة أريد أن أرى وجهه لا أنجح في ذلك على عدد المرات التي في حياتي تكرر هذا الكابوس أعداد لا تحصى ولا تعد طوال هذه السنوات لكن لم أستطع ولا مرة رؤية وجه هذا الرجل! أمر بجميع تفاصيله ببطء لا أعلم لماذا؟ أقدامه أولاً ثم ملابسه العتيقة يلبس ساعة في اليد اليمنى على عكس الناس ويلبس أسورة واحدة في اليسرى لونها أحمر وبها شعار لكن غير واضح! أخيراً رقبته التي يحتضنها بقوة ذلك الحبل ثم!!!!

أستيقظ كالعادة بنفس مثقل وروح منهكة ودموع تنهمر من عينيَّ وعرق يكاد يغرق غرفتي هذا هو كابوس الرجل المعلق في مطبخي الذي بدأ منه كل شيء..

استيقظت كالعادة بعد انتهائي من رؤية كابوس الرجل المعلق للمرة المئة أو أكثر، كان يوم الثلاثاء بالنسبة لي الأيام كلها متشابهة حتى أنني لم أعد أفرق بينها، ولم أعد أعرف ما هو اليوم بسبب الروتين المتكرر وكوابيسي التي تلازمني لم أعد أهتم بالواقع وكل اهتمامي بكوابيسي! كعادتي المعتادة بقيت مستلقية في الفراش لمدة ساعة ونصف الساعة تقريباً حتى سمعت صوت أمي تناديني، لكن أمي حقّاً تعرف أنني لن أرد عليها حتى لا تعطيني مهمة ما فهي تعرف أن ابنتها تخطت حدود الكسل لولا الخادمة التي تحضرها لها لكان المنزل الآن كومة من الأوساخ وكانت أمي ماتت من شدة الجوع! وأيضاً أمي لم تكن بذلك العجز فهي ليست كبيرة في السن لدرجة لا تستطيع فعل شيء وهذا من حسن حظها أنها ما زالت تستطيع خدمة نفسها فهي أصبحت معتادة من سنوات على تصرفاتي ولم تعد توبخني، نهضت أخيراً من على السرير بعد ما أزعجني صوت رنين هاتفي المتكرر توجهت إلى المكتب والتقطت الهاتف كان رقماً غريباً غير مسجل لذلك لم أجبْ ووضعته في وضع الصامت ليس لأنني لا أجيب على الأرقام الغريبة لكن لم تكن لدي رغبة في أن أتحدث إلى أحد مع الصباح الباكر..

من أن بدأتُ أرى الحلم إنها لا تنتهي حتى رؤية مليون مرة أظل أتجول وأدور والدرك حتى تنتهي بعد معاناة وإرهاق وتعب، وكأنني مسلوب سيرًا على الأقدام أخيرًا أصل إلى الطابق الأول، أريد المطبخ لكي أشرب بعض الماء، ربما لرؤية أنوار المطبخ هي الوحيدة المضاءة في المنزل

أخيرًا أصل إلى مدخل المطبخ بعد رحلة طويلة أدخل وكلي رعب ورعشة ترعبني ولكن أتوقف فجأة!؟ وأرى رجلاً في منتصف المطبخ معلقًا بالسقف! أشهق شهقة قوية وكأنها شهقة الموت قلبي ينبض بسرعة ويقول: [illegible] أقسم بأنه سيخرج من بين أضلعي؟ جسدي يرتعش ثم تراجعت للخلف وعيناي تتسعان أكثر وهما تراقبان هذا الرجل المعلق [illegible] الشعر [illegible] شخصية مزورة ولا يتفق مع العمر، ترتدي بنطالاً أسود وسبعاً قطنيًا؟ لا أعلم من هو هذا الرجل؟ لكنه يبدو طويلاً أرفع عيني بهدوء وأطيل رأسي أكثر أحاول أن أرى وجهه [illegible] وقلبي دقاته ازدادت سرعة أشعر بأن روحي تنسلب مني ببطء أكثر في كل مرة أريد أن أرى وجهه لا أنجح في ذلك على عدد المرات التي في حياتي تكرر هذا الكابوس أعتقد لا تحصى ولا تعد طوال هذه السنوات لكن لم أستطع ولا مرة رؤية وجه هذا الرجل! أهو [illegible] لا أعلم [illegible]؟ [illegible] ثم ملابسه العتيقة يلبس ساعة في اليد اليمنى على عكس الناس، ويلبس أسورة واحدة في اليسرى لونها أحمر وبها شعار لكن غير واضح! أخيرًا رقبته التي يحتضنها بقوة ذلك الحبل ثم!!!؟

توجهت إلى دورة المياه أخذت حماماً بارداً حتى أستعيد به روحي وأنفاسي التي أفقدها كل مرة مع كابوس الرجل المعلق وغيره، بعد الانتهاء من الاستحمام خرجت من غرفتي حتى أقوم بالجولة الأولى والأخيرة في يومي حول المنزل، توجهت إلى المطبخ أولاً حتى أجد شيئاً أسد به جوعي في هذا الصباح الباكر،،

هل استيقظتِ؟

سألتني أمي وهي داخلة إلى المطبخ بابتسامة مشرقة كالعادة ومعها بعض المواد الغذائية ووضعتها فوق طاولة الطعام ثم أكملت:

هل ترغبين بالإفطار؟ أحضرت الكثير من البيض وبعض أنواع الجبن وأيضاً دجاج البيرغر والنقانق المدخنة التي تحبينها.. ثم تابعت ضاحكة:

صحيح نسيت أنك لا تستطيعين أن تطبخي حتى بيضة واحدة، أخبريني إلى متى ستظلين هكذا؟ على هذا الحال! من سيتزوج بك وأنتِ بهذا العجز؟؟

بدأت أمي بسرد محاضرتها المعتادة وسرد قصص من سيتزوجك؟ هذه هي هموم الأمهات إنها بالنسبة لهن أحلام سعيدة بينما بالنسبة لنا أحلام تعيسة..

قلت لها وأنا ألتقط موزة من أحد الأكياس:

أمي ألا تشعرين بالملل من هذا الموضوع؟ لا أحد هذه الأيام من الفتيات يبحث عن الزواج إنه تفكير قديم

التقطت الأكياس وبدأت بفرز الأغراض في الثلاجة:

منذ متى أصبح الزواج تفكيراً قديماً؟ وأنتِ ألا تشعرين بالملل من عيش حياتك بهذه الطريقة؟! أخبريني متى آخر مرة خرجتِ من المنزل؟

حسناً أنا أخرج بالفعل عندما أشتري أدوات الرسم والكتب أين تريدينني أن أذهب غير ذلك؟

بالطبع تفعلين هذا فقط كل شهر لكن ألا تستطيعين الالتقاء بصديقاتك وتخرجين إلى المطاعم والمقاهي مثل جميع الفتيات؟!

حسناً أمي لقد اكتفيت من محاضراتك اليوم لدي طلبات متراكمة يجب أن أنتهي منها..

قالت: ألن تسأليني لماذا أحضرت كل هذه الأغراض إلى المنزل؟

قلت لها وأنا خارجة من المطبخ: أعلم لقد قالت لي الخادمة إن خالتي وبناتها قادمات في المساء، ولا تطلبي مني الجلوس معهن لأنني لست متفرغة..

توجهت إلى الأعلى بعد أن أخبرت الخادمة بأن تحضر لي البيض والنقانق للإفطار، وكنت أسمع صوت أمي تتذمر مني كالعادة، وصلت إلى غرفتي ودخلت بعدها إلى مرسمي كانت تقع غرفة الرسم بداخل غرفتي، عالمي الفسيح والمرعب في آن واحد، الذي يحتوي على الكثير من الألوان المتناثرة في كل مكان

ويغلب عليها اللون الأسود واللوح المصطفّة في كل أرجاء الغرفة بأحجام مختلفة تسكنها رسومات كئيبة وغريبة ومظلمة ومرعبة وغير مفهومة ، وثلاجة صغيرة تحتوي على بعض المفرحات والمشروبات، وركني المفضل للقهوة ويوجد به ثلاثة أنواع من آلات القهوة والعديد من أنواع القهوة وأنواع الأكواب، هذه هي غرفة كوابيسي..

كالعادة أغلب الأيام بعد ما أنتهي من الطلبية أحاول أن أرسم كابوس الرجل المعلق ولكن أفشل في النهاية خسارة وقت وألوان ولوح فقط..

قمت بتشغيل قائمة أغاني المفضلة لم تكن موسيقى هادئة كجميع الرسامين ولا سمفونية خاصة، بل أحب أن أستمع إلى الأغاني الصاخبة والموسيقى المرعبة! نعم فهي تلهمني أكثر للرسم وإتقان الكابوس.. أخرجت لوحة متوسطة الحجم لا بد أن أرسم طلبية شخص يقول إنه يريد لوحة فريدة من نوعها في الكثير من الرعب والكثير من السوداوية والكثير من السواد اللا منتهي السواد القاتل،، نظرت إلى اللوحة البيضاء أفكر أحاول إخراج تفاصيل طلبه، لكن قاطع أفكاري صوت غريب أولاً ظننت أنه قادم من الموسيقى لذا تجاهلته وعدت أتأمل اللوحة وأتخيل ماذا سأرسم؟ وأخيراً حصلت على فكرة مبدئية تناولت قلم الرصاص وبدأت بالتخطيط خططت تقريباً لمدة سبع دقائق حتى استوقفني سماع صوت غريب مرة أخرى وكان في هذا الوقت لا توجد موسيقى!! انتهت الموسيقى وأنتظر تشغيل

موسيقى أخرى التفت خلفي وأطفأت الموسيقى التي للتو بدأت لكي أركز في الصوت أصبح الهدوء سيد الموقف انتظرت لمدة دقيقة تقريباً لكن لم يكن هناك أي صوت عدت لتشغيل الموسيقى وأكملت الرسمة غير مبالية ظنّاً مني أنني أتوهم..

مضت نصف ساعة وأنا مندمجة في الرسم حتى أوقفني رنين هاتفي، توجهت إليه وكان الرقم نفسه الغريب الذي أيقظني في الصباح الباكر! حسناً أنا مستعدة الآن للإجابة والتحدث وبالفعل أجبت على الهاتف:

مرحباً من معي؟

الصوت: مرحباً آنسة ماريا معك المتحدث الرسمي والمنظم لمعرض الفن التشكيلي العالمي السيد فلادان..

قلت ببرود: حسناً وما الأمر؟؟

قال بحماس: آنسة ماريا تم اختيارك لتمثيل وعرض لوحاتك في معرض «الليالي الحالكة « أيضاً أعمالك في كل مكان ووجدنا أنها تستحق الترشيح وعرضها في المعرض سيكون المعرض الشهر القادم..

قاطعته قائلة: وهل يجب علي الحضور؟

أجاب بحماس: نعم بالطبع سيكون من الرائع وجودك الجميع يريدون مقابلتك الكثير من الإعلام والفنانين والجماهير..

امم.. حسناً أمهلني وقتاً حتى أرى جدولي ثم سأعطيك خبراً..

حسناً يمكنك مراسلتنا على البريد الإلكتروني وتعبئة الاستبيان كما أن الرحلة ستكون على حسابنا والإقامة كذلك وأرجو ألا تتأخري في الرد وشكراً..

العفو وداعاً..

أغلقت الهاتف وقلت ضاحكة في نفسي: جدول!! نعم جدولي هو الاستلقاء طوال اليوم على السرير وأنتظر الكوابيس هراء..

حسناً الآن علي أن أفكر في كل هذا كالعادة أشعر بأنه هم حتى أنني لا أستطيع الاستمتاع أفكر بأنني سأستيقظ في الصباح وأجهز حقائبي ولوحاتي العملاقة، وأحضر سيارة وأحدهم يساعدني لنقل اللوح ويجب علي أن أسافر وأذهب إلى المطار وأنتظر ثم أركب الطائرة ثم أصل ثم أتوجه إلى الفندق بعد أن أضيع عدة مرات وأصل وأنا متعبة وأقوم بإكمال لوحاتي الناقصة لأنه يجب علي أن أوصلها للمعرض ثم أعود إلى الفندق، ثم يأتي اليوم التالي أذهب إلى المعرض أقف متسمرة بتلك الابتسامة المجاملة أستقبل آلاف الناس، وأشرح لهم لوحاتي بكذبات مختلفة لأنني لا أستطيع أن أقول لهم كل شيء عن كوابيسي التي أنا لا أفهمها حتى!! ناهيك عن الإعلام والمقابلات المملة والخخخ..!

آه إنها دوامة كارثية! على الرغم من سنوات وجودي في هذا الفن والشهرة والنجاح لكن إلى الآن لا أحد يعرفني ولا يعرفون شكلي، أفضل دائماً البيع عبر الإنترنت من دون أن يتحدث ويعرفني أحد إنها نعمة بالنسبة لي..

عدت لأستكمل تلك الرسمة السوداوية لم أشعر بنفسي حتى انتهيت منها بالفعل نظرت إلى الساعة وكان الوقت الخامسة مساء صعقت لأنني بدأت بالرسم الساعة التاسعة صباحاً هذا يعني تقريباً رسمت لمدة ثماني ساعات متواصلة! الصدمة أنني لم أشعر بنفسي ولم آخذ فترة واحدة راحة! ولم أصنع قهوتي كالعادة؟ ولم أصور خطوات الرسم لمواقع السوشل ميديا كالعادة! أنا حتى لم أشرب المياه! وكانت الصدمة الأكثر نظرت إلى يساري لأجد الخادمة قد وضعت لي الإفطار من الصباح على الطاولة ولم أشعر بها حتى طبق البيض أصبح متجمداً!! هذه المرة الأولى يحصل معي شيء هكذا وكأنني كنت منومة مغناطيسيّاً،، تجاهلت الأمر وأعدت نظري للوحة السوداوية بتمعن وكنت قد أنهيتها تماماً وكان المشهد في اللوحة كالتالي:

« خلفية سوداء كالفحم، أيادٍ صغيرة بيضاء مطبوعة بصماتها على الجانب الأيسر من اللوحة، رجل يقف في منتصف اللوحة ويضع يده على عينه اليسرى والعين اليمنى متدلية على وجهه هذا يعني أن عينه سقطت من مكانها! في الجانب الأيمن من اللوحة خمس أعين مليئة بالدماء، أسفلها طفلان يصرخان ودماء الأعين تنهمر عليهما!!

هذا كان مختصر اللوحة رسمة كالعادة مليئة بالرعب والسوداوية والعنف، لكن أين رأيت هذه التفاصيل من قبل؟؟ هل رأيتها في كابوس من كوابيسي؟! على الأغلب دائماً أضع لمسة خاصة مستوحاة من كوابيسي لا بأس انتهيت منها سأرسلها

لصاحبها غداً صباحاً، وحان الوقت لكي أرتاح وأصنع لي كوباً من القهوة المثلجة وسأتناول شيئاً طبعاً غير طبق البيض والنقانق المتجمد، التفكير في ماذا سأتناول سيكلفني مجهوداً وأيضاً صناعة القهوة أنا متعبة من الرسم جدّاً لذلك سأطلب الطعام والقهوة من الخارج كالعادة الأهم أن أرتاح..

بعد أن طلبت وأنتظر الطلب قمت بتجفيف اللوحة وبدأت بتغليفها وكان ذلك الوقت لا يوجد أي صوت لأنني أطفأت الموسيقى، فجأة سمعت الصوت الذي سمعته صباحاً وهذه المرة كان بشكل أقوى!! تركت التغليف وتوجهت إلى الباب وفتحته بالطبع تؤدي إلى غرفة نومي كنت أظن أن أمي دخلت الغرفة لكن كانت الغرفة فارغة ولا يوجد أحد بها ولا يوجد فيها شيء غريب! لكن رغم ذلك أنا واثقة بأن الصوت قادم من هنا غرفة الرسم وليس من غرفة النوم! عدت إلى داخل المرسم وانتظرت دقيقتين أرغب بالتقاط الصوت لكن لم يظهر وظهر بدله صوت رنين الهاتف..

قفزت من مكاني عندما رن الهاتف فزعاً: تباً كنت على وشك الموت لماذا صوته عالٍ هكذا؟ التقطته لكي أرى أنه مندوب التوصيل لذا قمت بإرسال الخادمة لتستقبله وتحضر لي الطعام والقهوة.. بعد انتهائي من تناول الطعام أحضرت الجهاز اللوحي الخاص بي وبدأت أتصفح مواقعي وطلباتي وفتحت إيميلي لكي تنهال علي كالعادة العديد من الإيميلات أغلبها عروض وإعلانات، وجدت عدة إيميلات من طبيبي النفسي نعم أنا من عدة سنوات وأنا أرى وأراجع أطباء مختلفين لكي تنتهي هذه

الكوابيس لكن بدون فائدة! كانت آخر جلسة حضرتها مع طبيبي قبل خمسة أشهر تقريباً لأنني لم أعد مهتمة بالعلاج واصبحت متعايشة مع كوابيسي وصراعاتي..

فتحت آخر إيميل منه وكتب لي هذه الرسالة:

مرحباً عزيزتي «ماريا» أتمنى أن تكوني بخير لقد اتصلت بك عدة مرات لكن كالعادة لم تجيبي على اتصالاتي، أريد أن أخبرك بأن تلك الطبيبة المجنونة تواصلت معي بشأنك تريد أن تعرف هل انتحرتِ أم لا؟! أرجوك لا تتواصلي معها مرة أخرى واتصلي بي رجاء خلال هذا الشهر إذا لم تتصلي فسأضطر لإرسال رسالة لوالدتك..

تحياتي: دكتور موريس..

حسناً لا بأس فأنا لن أرد عليها أصلاً، لكن لمَ يناديها بالمجنونة؟ لأن تلك الطبيبة مهنتها غريبة والجميع يعرفونها إنها مشهورة حقّاً وناجحة، مهنتها أن تهيئ الذين يرغبون بالموت تساعدهم للوصول إلى مرادهم بشكل لائق وبدون ألم! نعم قبل سنة تقريباً عندما اشتدت علي الكوابيس ونوبات الاكتئاب بطريقة قاسية وغير طبيعية كنت أرى كابوساً كلما رمشت عيني! لدرجة أصبحت لا أفرق بين الواقع والكوابيس! استخدمت جميع الأدوية والمسكنات بدون فائدة كنت أقاوم النوم حتى لا أرى كابوساً أصبت بالأرق والجنون حتى وصل بي الحال إلى الانتحار وقد عزمت أمري بالفعل ولكن كنت في كل مرة أتردد وكنت خائفة تعلمون ما مدى صعوبة أن تقتل نفسك إنه ليس شيئاً سهلاً أبداً!

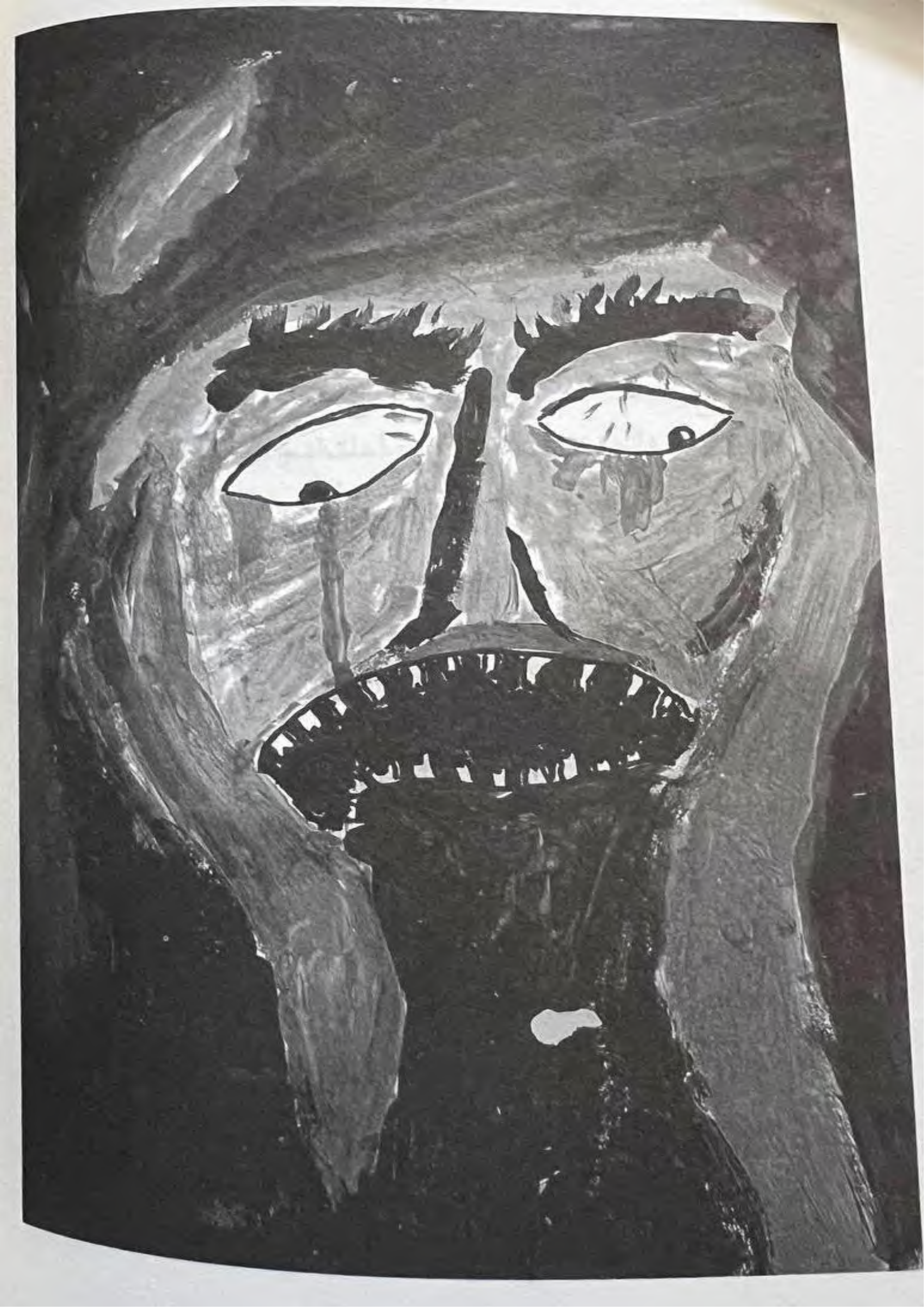
لذلك التجأت إلى هذه الأخصائية حتى تمهد لي الطريق إلى الموتِ!! نعم هذا ما تفعله مع الذين على وشك الموت سواء المرضى الميئوس من حالتهم، أم السجناء المحكوم عليهم بالإعدام، أو حتى الاشخاص الذين يرغبون بالموت من تلقاء أنفسهم بسبب صراعات الحياة، عمل غريب لكنني تواصلت معها لفترة وحتى لا أبالغ بالفعل كانت تسحبني للموت مثل الشيطان، لقد بدأت بإقناعي وأعطتني عدة طرق للموت بدون ألم وخوف وأنه سيكون لدي حياة أخرى بعد موتي حياة جيدة وسعيدة بدون معاناة ولا كوابيس وأن هذه الحياة مجرد جحيم!!

لكن أنقذتني أمي في آخر لحظة عندما علمت بشأن هذه الطبيبة وحبستني بالغرفة وأخذت مني جميع هواتفي وحتى نقلنا إلى مدينة أخرى غير التي تسكن بها تلك الطبيبة وأحضرت أمي لي هذا الطبيب وكان أكثر من ممتاز حتى إنه استطاع في فترة قصيرة أن يمحي تفكير الانتحار من رأسي لكنه لم يستطعْ مثل غيره أن يمحي الكوابيس من عقلي..

بعد الانتهاء من فقرة الإيميلات قررت أن أقرأ قليلاً عن المعرض الذي دعوني له لأنه معرض عالمي ومشهور قررت أن أبحث عنه قليلاً وأرى القليل من الصور للمكان على أمل أن تثير حماسي.. قاطع أفكاري للمرة المليون هذا الصوت الغريب!! اللعنة على هذا الصوت من أين يأتي؟! نهضت من مكاني وأنا على وشك أن أفقد أعصابي، لكن استوقفتني اللوحة التي رسمتها

قبل قليل لقد غلفتها متيقنة لكن الآن لا يوجد أي تغليف عليها!؟
مستحيل هل عادت الهلاوس إلي!؟

حسناً لا بأس لن أضخم الأمور سأعيد تغليفها وأعتبرها نسياناً مني، أحضرت ورق التغليف مرة أخرى وغلفتها وجهزت كرت المعلومات والاسم والعنوان لكي أرسلها للبريد غداً، لذا انتهيت من عمل اليوم تقريباً توجهت إلى السرير في الساعة الثامنة مساء كنت أشعر بدوار شديد لا أعلم ما سببه رميت نفسي على السرير، وتناولت هاتفي إنها بالطبع العادة المفضلة للجميع قبل النوم تصفح المواقع والدردشات، لكن لم أستخدمه لدقيقة فجأة بدون سابق إنذار غرقت بالنوم وكأنني غرقت في نوم عميق..





«صرخة وحشي»

ها أنا أرى نفسي في ممر طويل خافت الإضاءة ملغم بإضاءات في السقف جميعها تعمل لكنها خافتة جدّاً! سرت إلى الأمام كان الممر لا يحتوي على أي باب ومن الجهتين جدران فقط، استمررت في السير أسير وأسير دون نهاية لهذا الممر بدأت دقات قلبي تتسارع عندما سمعت صوتاً قادماً من الأمام! والأكثر رعباً كان قادماً من الظلام، كان صوتاً غريباً صوت حشرجة وكأن أحدهم يتنفس بخشونة، اقتربت أكثر من الصوت بدأت الأضواء الخافتة بالرمشان تضيء وتطفئ! الآن قلبي على وشك الخروج من مكانه، ما زلت أتقدم نحو الظلام بدون توقف حتى أخيراً اصطدمت قدماي بشيء! أنزلت نظري إلى أسفل قدمي وأنا أرتعش خوفاً حتى رأيت ذلك الشيء الذي كان يمسك بقدميَّ:

كان مخلوقاً صغيراً مثل الطفل بعمر ثلاث سنوات لكنه كالمسخ مرعب ذو وجه مقزز لديه أسنان طويلة وبارزة إلى الخارج، مليء بالعروق الحمراء شعره أسود مجعد يداه طويلتان أطول من جسده، رأسه كبير الحجم! ما أن التقت عيناي بعينيه صرخنا معاً!! أثناء صرخته المزعجة التي سببت لي طنيناً في أذني وضع يديه على رأسه وكأنه خائف بشدة!! عفواً يا عزيزي أنا من عليه الخوف حتى الموت منك ولست أنت من يجب أن يخاف بعدها وقعت على الأرض شعرت بأن روحي وقعت قبلي،

ركض ذلك المخلوق الغريب إلى الظلام واختفى فيه وهو يصرخ بصرخات مخيفة بقيت وحدي واقعة على الأرض ألتقط أنفاسي لكن سرعان ما عاد الخوف عندما سمعت صوتاً غريباً مختلفاً قادماً من الجهة الأخرى وأنا ما زلت مستلقية مسلمة أمري الصوت يقترب بسرعة أصبح بقربي جدّاً أشعر بأنفاسه وصرخت صرخة الموت واستيقظت أخيراً ...

استيقظت أخيراً وأنا على وشك الانهيار كان الكابوس مزعجاً جدّاً ومرعباً جدّاً، شعرت بأن جسدي يؤلمني، أشعر وكأن أحداً حطمه بمضرب ما لا أعلم السبب؟ حاولت النهوض من على السرير بثقل، أزلت الغطاء من على جسدي أنزلت قدميّ إلى الأسفل لمحت شيئاً غريباً على كاحل قدمي الأيمن وكذلك الأيسر ظننت في البداية أنها كدمات من شيء ما، لكن حلت علي الصاعقة عندما تفحصتها عن قرب وكانت العلامات الموجودة على أقدامي هي آثاراً ليدين وأصابع نحيلة وطويلة!!! مستحيل! ما هذا؟؟ هل ما زلت بداخل ذلك الكابوس؟! إنهما يدا ذلك المسخ الصغير! هذه المرة الأولى التي يحصل فيها معي شيء كهذا؟ خلال كل تلك السنوات الطويلة وأنا أشاهد الكوابيس لم أتعرض لشيء مثل هذا! هل عدت للهلوسة؟ أم هذا الشيء حقيقي؟ نهضت بسرعة من على السرير، وتوجهت لخارج غرفتي أبحث عن أمي كالطفل الذي عجز عن النوم ويظن أن هناك وحشاً سيخرج من الخزانة أو من أسفل السرير، لم أجد أمي في المنزل شعرت بالجنون والإحباط، عرفت كالعادة أنها

ذهبت إلـى جاراتهـا وصديقاتهـا أو تتسـكع مـع خالتي في الأسـواق فهـي امرأة اجتماعيـة لأبعـد حد علـى عكسـي أنـا، وجـدت العاملة فـي المطبـخ توجهـت إليهـا بسـرعة وهـي غارقـة بالعمل، أمسـكت بيدها حتى شعرت بالخوف والاستغراب قلت لها وأنا أرتجف:

أعتذر على إخافتك لكن الأمر طارئ..

تفضلي يا آنستي لقد أخفتِني ما الأمر؟

رفعـت البنطـال مـن علـى أقدامـي قلـت لهـا: انظـري هـل تريـن شيئاً غريباً أو كدمات أو علامات؟؟

قالت متلعثمة وهي تتفحص أقدامي:

نعم يا آنسة، ما هذا الشيء؟ هل أنتِ بخير؟ ما الذي حدث لك؟

أصبت بصدمة أخـرى هذا يعنـي أنني لا أهلـوس وبالفعـل اليدان مطبوعتان على أقدامي!

قلت لها بتوتر:

اسـمعي لا تخبـري أمـي بذلـك، أنـا بخيـر إنهـا مجـرد كدمـات بسيطة حسناً؟..

أومـأت الخادمـة برأسـها بملامـح كلها تعجـب واسـتغراب مني، خرجت مـن المطبخ وعـدت إلى غرفتـي، توجهـت إلـى دورة المياه ومـلأت حـوض الاسـتحمام بالمـاء الدافئ وغطسـت بـه وأغمضت عينيَّ على أمل أن أستيقظ من هذا الكابوس الواقعي ...!

مضت دقيقة فقط وأنا غاطسة بجسدي كله في وسط حوض الاستحمام، شعرت بشعور الارتياح والطمأنينة قليلاً، حان وقت

الخروج والتنفس لكن المفاجأة لم أستطع أن أخرج ولا أتحرك وكأن هناك يدين تضغطان على كتفيّ وتثبتانني في قعر الحوض لكي أغرق!!

حاولت النهوض مراراً وتكراراً أصرخ بصوت مخنوق تحت الماء، أحرك قدميّ بسرعة فائقة أرفعهما وأنزلهما، الكثير من الماء دخل إلى جسدي أنفاسي بدأت بالانتهاء أرى الموت أمام عينيّ!! وأخيراً فجأة شعرت بأن الثقل زال عن جسدي ونهضت بسرعة فائقة مع شهقة التقطت فيها أنفاسي الأخيرة مع السعال لأخرج ماء الحوض من رئتيّ، استنشقت نفساً طويلاً عيناي أصبحتا حمراوين من كثرة ابتلاع المياه، تلفت يميناً ويساراً لكن لم يكن يوجد أحد في الحمام غيري بالطبع والباب ما زال مقفلاً!! نهضت بسرعة والتقطت المنشفة ووضعتها على جسدي على استعجال، فتحت باب الحمام بهدوء أبحث بعينيّ في غرفتي يميناً ويساراً ما زلت أظن أن هناك قاتلاً أو سارقاً أو معتدياً دخل إلى المنزل وهو من كان يمسك بي ويحاول إغراقي! كانت الغرفة فارغة أيضاً!

خرجت إلى الغرفة بخطوات حذرة وما زال قلبي ينبض بشدة وجسدي يرجف، توجهت إلى غرفة المرسم وأيضاً فتحتها بحذر وكانت هي الأخرى فارغة! تنفست الصعداء قليلاً لكن أنا متيقنة بأن أحدهم كان يمسك بي ويحاول إغراقي لذا ارتديت ملابسي على عجل وخرجت من الغرفة كان المنزل مضاءً كثيراً لذا شعرت بالارتياح علمت بأن أمي لم تعد بعد إلى المنزل، ذهبت إلى العاملة ووجدتها كالعادة في المطبخ ثم سألتها :

هل هناك أحد دخل المنزل؟

ردت باستغراب:

لا يا آنسة لم يدخل أحد ولم يأتِ أحد!

إذاً هل أنتِ دخلتِ غرفتي؟

لا.. لـم أدخـل غرفتك أنـتِ تعلميـن بأننـي لا أدخل إلـى غرفتك حتى تستدعيني أنتِ..

العاملـة حقّاً تعلـم بأننـي غريبـة أطـوار قليـلاً لكـن اليـوم رأيـت الخـوف فـي عينيهـا والاندهـاش منـي وكأنهـا تقـول هـل أصبحـت تقف على عتبة الجنون؟!

عدت إلـى غرفتي وأنا أشـعر بالتشـتت والضياع والخوف، سـألت نفسـي: هـل حـان الوقـت لأعـود وأتحـدث مـع طبيبـي النفسـي؟! دخلت إلى المرسـم وأنـا مشـتتة الذهن لكن سـرعان ما لفـت انتباهي شيء مـا!! لـم يكـن هنـاك علـى سـتاند الرسـم لوحـة، كان السـتاند فارغـاً! أنـا متيقنـة فأنـا لا أضـع أي لوحـة إلا إذا كنـت أريـد الرسـم فقـط! تقدمـت إلـى اللوحـة البيضـاء هـل هـذا يعني أنـه حـان الوقت لرسـم هذا الكابـوس المزعـج؟! هـو أول كابوس شـعرت بأنـه خرج معي إلـى أرض الواقـع! نظرت إلـى أقدامـي والبصمات مـا زال أثرها مطبوعـاً، حاولـت أن أمسـك الفرشـاة وأبدأ بالرسـم، لكن لم أسـتطع عقلـي مشـوش تمامـاً الأفـكار تـدور فـي رأسـي باسـتمرار، أشـعر بغثيـان رهيب صـداع يريد أن يشـق رأسـي إلى نصفيـن! مـا زال قلبي يخفق بشـدة وأنفاسـي متقطعة وجسـدي ويداي ترتعـش دون توقف، لـذا قـررت أن أضـع الفرشـاة وأصفـي ذهنـي جيـداً، توجهـت إلـى

الكرسي الهزاز وشربت بعض المياه مع فوار مهدئ للأعصاب ومسكن للألم حظيت ببعض الراحة لمدة ساعة تقريباً، وما زلت أفكر بهدوء ونظري لا يفارق اللوحة البيضاء والبصمات المطبوعة على قدميّ! والصوت الذي يظهر فقط في المرسم هل هو قادم من السقف؟ أو من الجدران؟ أو من الأرضية؟ لا أعلم حقّاً!

قررت أن فترة الاستراحة انتهت ونهضت وجهزت لي كوباً من القهوة وبدأت برسم ذلك المخلوق أو المسخ المرعب، إذا كنتم تتساءلون: ألا أنسى تفاصيل أحلامي مثل أغلب البشر؟ الإنسان بمجرد أن يحظى بأحلام سواء كانت جميلة أم قبيحة فإنه فور ما ينهض من النوم سرعان ما ينسى كل شيء رآه في ذلك الحلم وأنا أجد هذه نعمة، بعض الأحلام لا تنسى، قد تبدو غير مترابطة ومفككة الأحداث والشخصيات أحياناً، وبعضها مخيف ويحمل رسائل مثيرة للذعر، والبعض الآخر يصبح متنفساً عن ضغوط اليوم، نبدو فيها منتصرين ومنتقمين في بعض الأحيان، وهناك جانب مضحك في الأحلام، ولا سيما إن لم يرتبط بشخصية الرائي في الواقع، إلا أن هناك آلافاً من الأحلام التي لا نتذكرها يوميّاً، وقد نتذكر جزءاً منها عند الاستيقاظ.

يقول أرنست هارتمان أستاذ الطب النفسي في كلية الطب بجامعة تافتس الأميركية ومدير مركز اضطرابات النوم في مستشفى نيوتن-ويليسلي: «ننسى تقريباً كل الأحلام بعد فترة وجيزة من الاستيقاظ، ويعزى نسياننا عموماً إلى الظروف الكيميائية العصبية في الدماغ التي تحدث أثناء النوم من خلال حركة العين، وهي

مرحلة من النوم تتميز بحركات العين السريعة أثناء الحلم». وأضاف أن «الأحلام -خاصة الأحلام العادية مثل أحلام اليقظة- يعتبرها الدماغ عديمة الجدوى بحيث لا يمكن تذكرها؟ لكن قد لا تكون هذه القصة كاملة». ربما يكون التفسير الأكثر إقناعاً هو عدم وجود هرمون نورإبينفرين في القشرة الدماغية، وهي منطقة من الدماغ تلعب دوراً رئيساً في الذاكرة والفكر واللغة والوعي. وتدعم دراسة نشرت عام ٢٠٠٢ في المجلة الأميركية للطب النفسي النظرية القائلة إن وجود هرمون نورإبينفرين يعزز الذاكرة لدى البشر على الرغم من أن دوره في التعلم والتذكر لا يزال مثيراً للجدل، ومع ذلك فإن نقص هذا الهرمون لا يفسر تماماً سبب نسيان الأحلام بهذه السهولة.! رغم ذلك ليس هناك دراسة واضحة للحالة التي أمر بها وهي أنني لا أنسى كوابيسي أبداً وأتذكرها بكل تفاصيلها لفترات طويلة وكأنها واقع وليست حلماً أو كابوساً؟!

دعونا الآن نجعل الدراسات جانباً، بدأت برسم ذلك المسخ، مخلوق صغير بعمر ثلاثة أعوام أو أربعة! لديه شعر مجعد ووجه مخيف وبشع، ملامح مرعبة أسنان متباعدة بعضها عن بعض وبارزة للخارج على وشك أن تسقط! فمه كبير عيناه بارزتان ومتحجرتان مليئتان بالشقوق الحمراء، أيادٍ طويلة وأصابع نحيلة رسمته وهو يصرخ ويضع يديه على رأسه! بالمنظر نفسه عندما رآني وكأنه هو الطبيعي وأنا الوحش!! نعم اكتملت الآن لوحة «صرخة وحشي» هكذا قمت بتسمية اللوحة الصرخة على طريقة لوحة «الصرخة» للفنان النرويجي «أدفارت مونك»..



«كابوس يتجول»

استيقظت على صوت أمي:

ماريا،، كم مرة أخبرتك ألا تنامي في المرسم هكذا على الأرض؟ سيتأذى جسدك هيا انهضي، وأيضاً هاتفك يرن مراراً وتكراراً..

اهدئي يا أمي قليلاً أعطيني فرصة أستوعب ما الذي أفعله على أرض المرسم؟!

لا أتذكر أنني نمت على الأرض في المرسم البارحة؟ ولا أتذكر شيئاً من الأساس، كل ما أتذكره آخر شيء انتهيت من رسم لوحة «صرخة وحشي»! ثم بعدها ماذا؟؟

كل هذا الحديث في نفسي بالطبع ليس أمام أمي، ثم نهضت بشكل مثقل وجسدي مليء بالخمول وأمي مستمرة في ترتيب أغراضي وفتح الستائر من على النوافذ، تسلل ضوء أشعة الشمس حتى لم أعد أستطيع فتح عينيّ، قالت وهي تهم بالخروج :

أنتظرك على الغداء لا تتأخري..

حسناً يا أمي سأستحم ثم سأنزل..

خرجت أمي من غرفتي وأنا ما زلت متسمرة واقفة أمام اللوحة أحاول أن أعصر مخي وأتذكر ما الذي حدث بعد أن انتهيت من الرسم؟ لقد أنهيت اللوحة تقريباً في الساعة الخامسة

مساء يعني ما زال الوقت مبكراً على نومي ولا أذكر أنني شعرت بالنعاس أو الدوران! هل نمت من ذلك الوقت حتى اليوم التالي في الساعة الثانية عشرة ظهراً!؟ كل هذه الساعات وعلى الأرض!!

خرجت من المرسم وتوجهت إلى دورة المياه تذكرت ما حدث معي بالأمس! لذلك تحممت بشكل سريع من الممكن أسرع استحمام أفعله في حياتي وخرجت.. خرجت على صوت رنين هاتفي تذكرت عندما أخبرتني أمي بأنه كان يرن من الصباح الباكر، التقطت الهاتف وكان رقم صديقتي الوحيدة ومديرة أعمالي أجبت عليها أهلاً روجينا:

مرحباً ماريا كيف حالك؟

مرحباً أنا بخير، ألم تقولي بأنك ستأتين اليوم؟! أريد أن أخبرك بشيء..

نعم سآتي ولكن أولاً علي أن أخبرك بشيء!

قلت باستغراب:

ما هو؟!

هل تتذكرين الرسام والفنان الكبير «فرانك زينكون»؟ الذي اشترى منك لوحتين؟..

نعم أتذكره ما به؟؟

لقد تواصل معي ويريد أن يضم لوحك في معرضه القادم، وقال من الجيد أن تحضري سيكون هناك مقابلات وستظهرين بشكل مباشر على التلفاز، يجب ألّا ترفضي أبداً هناك ملايين من العروض دائماً ترفضينها لكن الآن لن أسمح لك..

قاطعتها: الآن تعالي بسرعة وسنتحدث عن كل الموضوعات لاحقاً..

قالت بحماس: حسناً عِديني بأنك لن ترفضي هذه المرة!

حسناً تعالي فقط وبعدها سأعدك بكل شيء..

حسناً ساعة فقط وأكون عندك..

أغلقت الخط هذا هو روتين روجينا اليومي فهي تتصل بي كل يوم لكي تخبرني بالأخبار والعروض التي تأتيني وأنا أرفضها بكل بساطة، لكنها لا تمل أبداً ولا تستسلم من إحضار الفرص والعروض لي.. توجهت إلى المرسم وعدت لتأمل لوحة «صرخة وحشي» بعدها فعلت ما أفعله كالعادة وأحضرت الكاميرا وأضأت التصوير والتقطت صوراً للوحة وعرضتها على صفحتي للبيع.. وكالعادة بدأ بسرعة السوم عليها حتى وصلت إلى أعلى سوم وبعتها لشخص ما، وأخبرته أن يرسل تفاصيل مكانه واسمه بعد تحويل المبلغ لي، تخلصت منك أيها الوحش تخلصت من كابوسك للأبد.. وصلت روجينا واحتضنتها بقوة شعرت بأنني محتاجة إلى شخص أخبره عن كل شيء حدث معي هذين اليومين..

طلبنا كوبي قهوة مثلجة وبعض الدونات وجلسنا كالعادة في المرسم، بدأت روجينا تحكي لي الكثير والكثير عن رحلتها إلى فالنسيا كانت في رحلة عمل وأخبرتني عن العروض وكيف كان جميع الناس هناك يعرفون لوحاتي الغريبة والمرعبة وكيف أنهم لا يعرفونني كثيراً ولا يعرفون شكلي..

قاطعتها كالعادة: غير مهم..

روجينا: ماذا؟ ما هو غير المهم؟

غير مهم أن الناس يعرفونني ويعرفون شكلي.

روجينا بعصبية: هل أنتِ مجنونة!؟ أرجوك ماريا عليك أن تخرجي للعالم هذا يكفي أن تعيشي في عالمك الغامض، من الجميل أن تكوني في الصورة مثل جميع الفنانين والمشاهير والمبدعين في العالم..

قلت وأنا أحتسي القهوة: أنا مشهورة بالفعل..

روجينا: مشهورة بدون شكل أو هوية..

وهذه أجمل شهرة..

ثم وضعت كوب القهوة مستأنفة حديثي: اسمعي الآن هذا ليس هو موضوعنا أريد أن أخبرك عن الكابوس الجديد.!

روجينا صاغية: ما هو!؟

أخبرتها بالكابوس بالتفصيل وبعد أن انتهيت قالت: مخيف ومبهم كالعادة لكن ما هو الشيء الجديد؟ طوال حياتك تشاهدين الكوابيس

قلت لها: حسناً اسمعي سأخبرك هذا لأنك صديقتي الوحيدة ودائماً ما تصدقينني وتفهمينني لا تقومي بمقاطعتي حتى أنتهي هل هذا مفهوم؟.!

حسناً..

أخبرتهـا بـكل الأحـداث التـي حدثت معـي بعـد الكابـوس على أرض الواقـع وبعـد مـا انتهيـت مـن سـرد القصـة، كانـت مصدومـة ومتفاجئة ثم قالت:

تقصدين أن الكابوس خرج معك على أرض الواقع؟!!

ألا تصدقينني؟؟

روجينا: ليس موضوع تصديق أو تكذيب،.. صمتت قليلاً ثم أضافت:

حسناً هل ما زلتِ تتناولين دواءك باستمرار؟

قلت ضاحكة بسخرية:

إذاً أنـتِ لا تصدقينني وتظنيـن أننـي أهلـوس! حسـناً سـأخبرك بصراحـة: وأنـا أيضـاً فـي البدايـة ظننـت أننـي أهلـوس لكن سـألت الخادمة عن الآثار التي بقدمي وقالت بأنها تراها..

أين هي الآثار؟

رفعت بنطالي عن قدميّ بحماس لكي أقنعها لكن كانت الصدمة! أن الآثار اختفت تماماً!! لم يكن هناك أي شيء وكأنها لم تكن!!

مستحيل أين ذهبت؟ كنـت أراهـا اليوم فـي الصبـاح وكانت قبل ساعة موجـودة! كيـف اختفـت بهـذه السـرعة؟ روجينـا هـل تظنين أنني مجنونة؟

روجينا وهيا تمسك بيديّ:

ماريا اهدئي أرجوك لا بأس أنا أصدقك، لكن سأخبرك بشيء أخبرني به طبيبك بما أنك لم تتواصلي معه ولم يستطع التواصل معك..

ما هو؟ ما الذي أخبرك به؟

روجينا: قال إنه يجب أن تغيري نظام حياتك على الأقل حاولي أن تتوقفي عن حبس نفسك بين كوابيسك يجب أن تخرجي إلى العالم الواقعي..

لم أرد على كلام روجينا واكتفيت بالصمت..

ثم أكملت روجينا:

حسناً لن أضغط عليك لكن لا بأس من المحاولة وأنا ووالدتك وجميع من يحبونك سنساعدك بالتأكيد فكري بالأمر..

قلت متنهدة: حسناً سأفكر..

غادرت روجينا بعد أن تحدثنا في موضوعات كثيرة وتناولنا وجبة الغداء معاً أصبح الوقت ليلاً وأنا ما زلت أقرأ كتاباً ما وكان يتحدث عن معاناة أشخاص مع الكوابيس المستمرة استمررت في القراءة حتى أصبح الوقت في منتصف الليل، قررت أن آخذ جولة في المنزل قبل النوم أولاً كالعادة توجهت إلى المطبخ، وجدت العاملة تقطع الكثير من الجزر كانت واقفة بشكل غريب ومستقيم كالحجر الصلب، وتقطع بشكل منظم ومثالي أنا أعرفها من ثلاث سنوات وهي معنا عشوائية جداً في التقطيع ودائماً ما تنجز عملها بعشوائية، وأيضاً كسول قليلاً من المستحيل أن تقف في منتصف الليل وتقطع الكثير من الجزر فجأة! فهي تنام مبكراً وبحكم أن المنزل فارغ لا يوجد فيه أحد سواي أنا وأمي إذاً ليس هناك عمل كثير ودائماً ما تنتهي من عملها في تمام الساعة السادسة مساء،

تفضل أن تسهر على برامج ومسلسلات نتفليكس وهاتفها النقال والدردشة مع أقاربها من بلادها، لكن الآن أجدها تقطع الكثير من الجزر الذي لسنا بحاجة إليه وفي هذا الوقت المتأخر من الليل؟!

لم أقترب منها وكنت أتفحص الثلاجة باحثة عن سناك خفيف قبل النوم، ثم سألتها:

ما بك لِمَ تقطعين كل هذا الجزر؟ هل أمي غداً لديها مناسبة؟؟

لم ترد علي واستمرت في التقطيع، أخرجت بعض الفواكه ثم عدت لسؤالها مرة أخرى: لماذا أنتِ مستيقظة في هذا الوقت؟ غريب! هل عاقبتك أمي؟

لم ترد أيضاً الهدوء يطغى على المنزل لا يوجد أي صوت سوى صوت السكين وهو يضرب بقوة على لوح التقطيع!..

أغلقت الثلاجة ونظرت إليها: ألا تسمعينني أتحدث معك؟ ما بك لماذا لا تردين علي؟؟

توقفت أخيراً عن التقطيع، ولكن في اللحظة نفسها سمعت صوت ضربة قوية قادمة من الأعلى! خرجت من المطبخ بسرعة وصعدت إلى الطابق الثاني، علمت بأن الصوت قادم من غرفة أمي، وصلت إلى الغرفة وفتحت الباب لأجد أمي واقفة وهي تضع يدها على فمها في صدمة قائلة:

يا إلهي ماريا لا أعلم كيف وقعت فجاءة هكذا!!

نظرت إلى الأرض لأجد الكثير من الزجاج محطماً كان من مرآة أمي المفضلة، كانت مرآة طويلة وعملاقة الحجم دائماً ما تحب

أمـي أن تنظـر إلـى نفسـها بشـكل كامـل وتتباهـى بجمالهـا، إنهـا امرأة معتنية بنفسها ومتألقة على عكس ابنتها التي كانت كالكابوس..

تقدمـت إلـى أمـي فقالـت: انتبهـي لخطواتـك هنـاك الكثير من قطع الزجاج المتناثرة في الأرجاء..

لا بأس يا أمي سنحل هذه المشكلة وسأشتري لكِ غيرها..

قالـت بحـزن: هـذه المـرآة كانـت معـي مـن سـنوات عديدة المحزن أنها تحطمت فجاءة..

ثم أكملت متنهدة: حسناً الآن سننظف هذه الفوضى..

قلت لهـا وأنـا متجهة نحو البـاب للخـروج: لا بأس أنـتِ ارتاحي أنا «وليسان» سننظف معاً..

أمي باستغراب: ألم تودعك؟؟

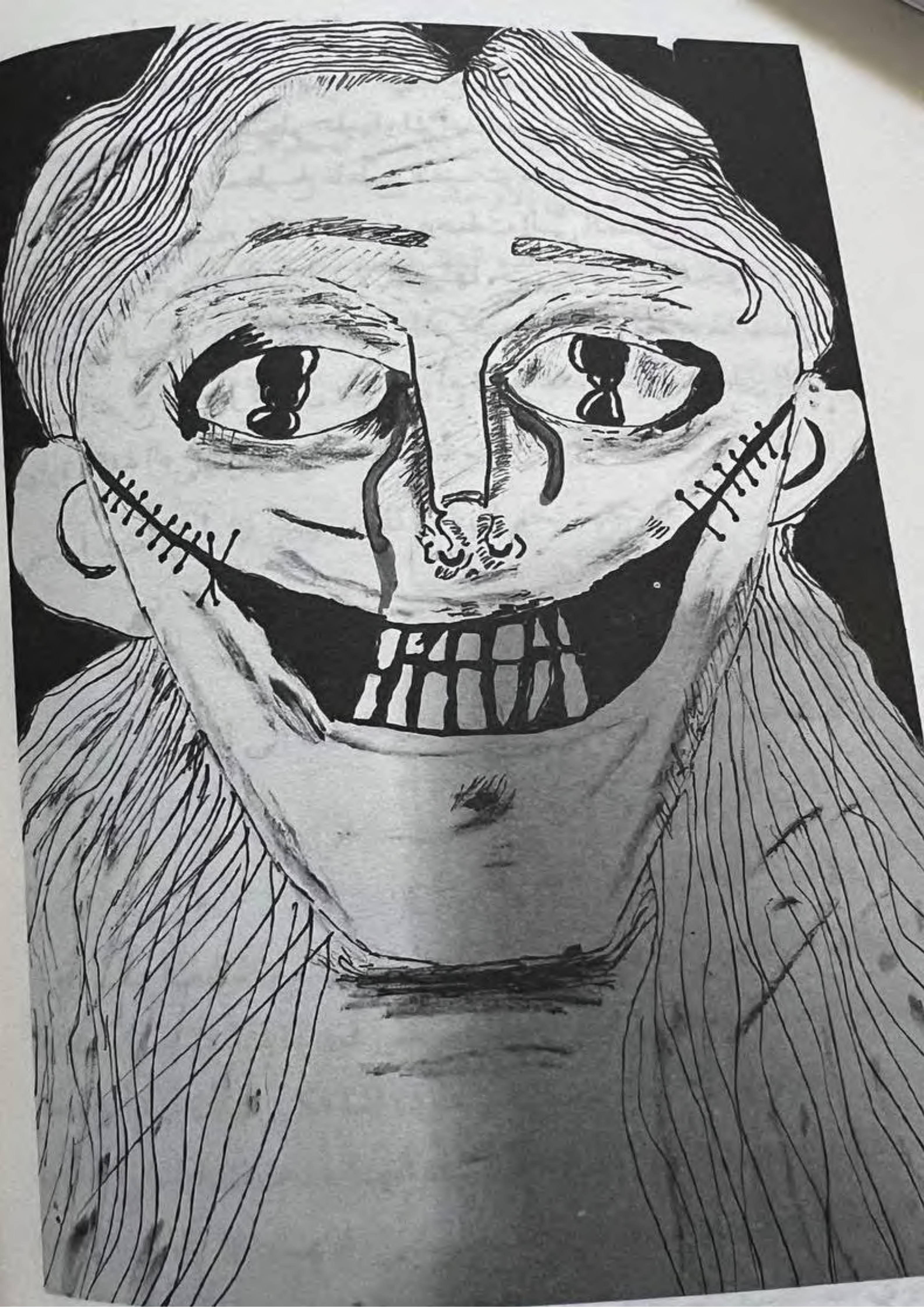
توقفت عند عتبة الباب باستغراب ثم التفت إلى أمي:

من الذي لم يودعني؟؟

أمي وهي تلتقط بحذر بعض الزجاج:

العاملـة ليسـان مـا بـك؟ لقـد رحلـت اليـوم الرابعـة مساء بعد الغـداء، كانـت مضطـرة لأن ابنهـا مـرض فجـأة لذلـك سـمحت لها بالرحيـل وقالـت ما أن يتحسـن سـتعود، لذا فكـرت أن أبـدأ بالبحث عـن عاملـة جديـدة مـن غـدٍ، ظننـت أنهـا ودعتـك لكـن لا بـأس المسـكينة كانـت متعجلـة وقلقـة علـى ابنهـا، لا بـأس اذهبي وأحضري المكنسة دعينا نقمْ بالتنظيف..

بعد كلام أمي الذي جاء إلي كالرصاصة في رأسي، والقشعريرة بدأت تسري في جسدي! قلبي نبض بشدة وبسرعة رعشة في يديّ لم أستطع أن أسيطر عليها، لم أستطع إخبار أمي بأنني رأيتها قبل دقيقتين في المطبخ تقطع كميات هائلة من الجزر، ذهبت أركض إلى المطبخ كالمجنونة، وصلت إلى المطبخ ولم أجد أي شيء لم تكن هناك العاملة لا أثر لها حتى ولا أثر للجزر ولا أثر لأي أحد سوى الفواكه التي أخرجتها أنا! هل هذا يعني أن كابوساً خرج متجولاً إلى واقعي أم ماذا؟ ثم سقطت على الأرض منهارة فاقدة الوعي..





«الباكية الضاحكة»

فتحت عينيّ وجدت نفسي في مكان غريب! ليس منزلي ولا غرفتي؟ أرى نفسي في ساحة واسعة ومظلمة وكأنني في ساحة قصر قديم منذ الأزل، مهجور وخاوٍ من كل البشر، فقط بشر لكن هل يوجد غير البشر؟! علمت بأنني في كابوس آخر، عندما رأيت نفسي مرتدية فستاناً أبيض به نقوش يبدو عليه طراز قديم من الثمانينيات أو السبعينيات لا أعلم لست واثقة كان الفستان متسخاً جدّاً، ويداي وأقدامي متسخة أيضاً يبدو أنني كنت في مغامرة ما! نهضت من مكاني وقفت على قدميّ وأنا أشعر بدوار خفيف، بدأت أسير وأتفحص المكان يميناً ويساراً، حتى لمحت سلالم عملاقة تقع في آخر الساحة توجهت إليها ووصلت إليها نظرت إلى الأعلى على أمل أن أستطيع أن أرى أين نهاية هذه السلالم وما هو الشيء الموجود بالأعلى بالطابق الثاني لكن الظلام كان يبتلع الطريق إلى الأعلى عزمت أمري وبدأت بالصعود درجة درجة أصعد فحسب ولا أعلم ما الذي ينتظرني، أصعد إلى المجهول! حتى انتهت السلالم أخيراً ووصلت إلى المكان أو الطابق الثاني، كان عبارة عن ساحة أيضاً لكن أصغر مساحة بها أبواب متفرقة وفي المنتصف يوجد على الحائط ثلاث لوحات عملاقة جدّاً، الأولى كانت عبارة عن سواد قاتم يملأ اللوحة لكنْ بها عين واحدة في المنتصف وكانت تبدو وكأنها عين حقيقية وليست رسمة، بارزة للخارج وكأنها تراقبني!!

اللوحة الثانية بها ثلاثة أوجه: وجه مبتسم بطريقة غريبة ووجه عابس ووجه غير مبالٍ!! اللوحة الثالثة بها رسمة أعرفها وأنا أعرفها حقاً إنها لوحتي لوحة «صرخة وحشي» التي رسمتها وبعتها سابقاً! قاطع أفكاري صوت قادم من أحد الأبواب الموجودة إنه الباب الثاني من على اليسار، كان الصوت غريباً ومخيفاً إنه يزداد أكثر وأكثر هناك صوت امرأة تبكي تارة وتضحك تارة! توجهت إلى الباب بأقدام ترتعش وقلب ينبض بقوة، أنا أعلم بأنه كابوس ولكن هذه الكوابيس تكلفني أنفاسي وتكلفني روحي وصلت إلى الباب وصوت البكاء والضحك يعلو أكثر وأكثر، وضعت يدي على المقبض وأدرته أنفاسي تتسارع وفتحت الباب أخيراً، كانت عبارة عن غرفة فارغة ولكن السقف كان يتدلى منه أشياء غريبة أو بمعنىً أصح كأنها أكياس قماشية مربوطة! فجأة يظهر صوت البكاء بشكل مفزع انتفض جسدي بأكمله تراجعت للخلف أبحث عن مصدر الصوت، أخيراً وجدت مصدر صوت البكاء كانت امرأة ترتدي مثل فستاني الأبيض لكنه بنقوش حمراء، تجلس منطوية في الزاوية اليمنى للغرفة لا أرى سوى ظهرها وشعرها الأسود القصير، كانت مستمرة بالبكاء والضحك دون توقف، تقدمت إليها بخطوات بطيئة وحذرة حتى وصلت إليها، مددت يدي وهي ترتعش أمسكت بكتفها ما أن لمستها توقفت عن البكاء والضحك وعمَّ الهدوء، استدارت نحوي ببطء شديد وأنا على وشك حافة الموت من شدة الفزع أنتظر ما الذي سأراه! كنت أعلم بأنني لن

أرى امرأة طبيعية، أخيراً استدارت بالكامل! ما أن رأيتها صرخت صرخة مدوِّية من هيئتها حتى وقعت أرضاً! كان شكلها كالتالي:

عيناها جاحظتان وبارزتان تنزل منهما دموع لكن دموع من دم! والأسوأ: كان فمها مشقوقاً كالمهرج من الأذن اليمنى حتى الأذن اليسرى، وأطرافه مخيطة بخيط! وتبدو وكأنها ابتسامة رغماً عنها، استمررت بالصراخ وهي استمرت بالضحك والبكاء، كانت تزحف باتجاهي بشكل مرعب وأنا واقعة على الأرض عاجزة عن الحركة ولم أعد أستطيع حتى أن أقف على قدميّ! استمررت بالزحف والتراجع للخلف وأنا أصرخ أريد أن ينتهي هذا الكابوس، وهي ما زالت تزحف باتجاهي قادمة إلي حتى أمسكت بقدميّ! زحفت فوقي حتى التصق وجهها بوجهي وبدأت بفتح فمها، تقطعت الخيوط في منظر مقزز ومرعب حتى الموت! كانت تريد أن تقول شيئاً! تريد أن تنطق حتى نطقت أخيراً وقالت بصوت مخنوق:

«بعل فغور»..

ثم شهقت شهقة ظننت أنها شهقة خروج روحي من جسدي لكن كانت شهقت الخروج من هذا الكابوس واستيقظت أخيراً..

استيقظت أخيراً الأعراض كالعادة: تنفسي بطيء عرقي يتصبب كالشلال قلبي ما زال يخفق بشدة.. حسنا أحضري الحساء الآن..

سمعت صوت أمي قادماً من خارج غرفتي، ثم فتحت الباب ودخلت ما أن رأتني مستيقظة ابتسمت ابتسامة سعادة واراحة قالت وهي تجلس بجانبي على السرير وتقوم باحتضاني:

الحمد لله لقد قلقت عليك كثيراً الحمد للـه الرب أنك بخير

لقد قال الطبيب: تحتاجين للراحة والنوم أكثر..

قلت في نفسي: نوم! أي نوم؟ إنـي الإنسانة الوحيدة التي لا تشعر بالراحة أبداً في النوم على عكس جميع البشر..

أكملت أمي بعد أن صمتت قليلاً قالت بتلعثم:

حبيبتي يقول الطبيب بأن مشكلتك نفسية ويجب أن...

قاطعتها:

ويجب أن أخرج من هذه العزلة وأعيش حياة طبيعية..

نعم هـذا مـا قالـه،، لا أعلـم إلى متـى ستستـمرين بحبس نفسك مع تلك اللوح الغريبة؟!

حسناً.. أمي سأبدأ بمحاولة العيش بطريقة طبيعية..

تفاجـأت أمـي بكلامـي المفاجـئ الـذي طالمـا تمنت أن تسـمعه مني وتحققت أمنيتها، ثم ابتسمت بسعادة واحتضنتني بقوة:

أخيـراً أنـتِ لـم تقولـي لا كالعـادة أخيـراً لقـد اسـتجاب الـرب لدعواتي أنتِ موهوبة وتستحقين أن تعيشي حياة الرفاهية والنجاح..

قلت بابتسامة ذابلة:

حسـناً أمـي سـأفعلها من أجلـك فقـط.. بـدأت أمـي بالبـكاء من شدة السعادة..

نعـم هـذا هـو الأمـر ليـس مبالغـاً فيـه أو مـن أجـل مجاملتها لكن بالحقيقـة فقـد تعبـت أمي لكـي تغيـر حياتـي مـن ٢٠ عامـاً تقريبا منذ

الطفولة وأنا أعيش حياة الانطوائيين وغريبي الأطوار والعزلة، عانت أمي كثيراً وحدها في تربيتي بدون أب نعم لا أعرف أبي ولا أعرف شكله وليس لدي صور له وعندما أسأل أمي تقول إنه مات بحادث سيارة وأنا بعمر السابعة تقريباً ولا تملك له أي صور! أعرف أنها تكذب وهناك سر أو أسرار تخفيها علي هي حتى لا تتحدث عنه أبداً، أيضاً رغم عروض الزواج التي تأتيها لأنها جميلة ناجحة سيدة أعمال ومصممة إلا أنها ترفض أي عرض زواج وكرست حياتها ووقتها لي فقط، لذا قررت هذا القرار فقط من أجل أمي وعلى أمل أن تختفي هذه الكوابيس إذا خرجت للعالم الواقعي..

مضى يومان وأنا ما زلت مستلقية على الفراش أستعيد صحتي النفسية والجسدية حتى أخيراً شعرت بأنني بخير ونهضت بدأت بتفقد هاتفي ومواقع التواصل الاجتماعي، بعدها انتقلت إلى موقعي أتفقد الطلبات ثم فجأة تذكرت كابوس وحشي عندما انتقل معي إلى أرض الواقع! هل هذا يعني أن هذه المرة أيضاً ستنتقل معي تلك المرأة على الواقع؟!! شعرت بالخوف جداً فتلك المرأة مخيفة أكثر من ذلك المسخ الطفل!! لن أستطيع تحمل رؤيتها في الواقع! لذا ذهبت بكل نشاط إلى الحمام وتحممت بمياه باردة حتى أستطيع التركيز، بعدها توجهت إلى المطبخ صادفت أمي والعاملة الجديدة ما أن رأيت العاملة الجديدة تذكرت ما حدث معي في المرة الأخيرة وهو ما تسبب لي بالانهيار! لا أعلم ما رأيته هل هو خيال أم هلاوس أم واقع؟ قالت أمي وهي ترحب بي:

الحمد لله لقد قلقت عليك كثيراً الحمد لله الرب أنك بخير لقد قال الطبيب: تحتاجين للراحة والنوم أكثر..

قلت في نفسي: نوم! أي نوم؟ إني الإنسانة الوحيدة التي لا تشعر بالراحة أبداً في النوم على عكس جميع البشر..

أكملت أمي بعد أن صمتت قليلاً قالت بتلعثم:

حبيبتي يقول الطبيب بأن مشكلتك نفسية ويجب أن...

قاطعتها:

ويجب أن أخرج من هذه العزلة وأعيش حياة طبيعية..

نعم هذا ما قاله،، لا أعلم إلى متى ستستمرين بحبس نفسك مع تلك اللوح الغريبة؟!

حسناً.. أمي سأبدأ بمحاولة العيش بطريقة طبيعية..

تفاجأت أمي بكلامي المفاجئ الذي طالما تمنت أن تسمعه مني وتحققت أمنيتها، ثم ابتسمت بسعادة واحتضنتني بقوة:

أخيراً أنتِ لم تقولي لا كالعادة أخيراً لقد استجاب الرب لدعواتي أنتِ موهوبة وتستحقين أن تعيشي حياة الرفاهية والنجاح..

قلت بابتسامة ذابلة:

حسناً أمي سأفعلها من أجلك فقط.. بدأت أمي بالبكاء من شدة السعادة..

نعم هذا هو الأمر ليس مبالغاً فيه أو من أجل مجاملتها لكن بالحقيقة فقد تعبت أمي لكي تغير حياتي من ٢٠ عاماً تقريبا منذ

الطفولة وأنـا أعيش حيـاة الانطوائيين وغريبـي الأطـوار والعزلة، عانت أمي كثيـراً وحدهـا فـي تربيتي بـدون أب نعـم لا أعرف أبـي ولا أعرف شـكله وليس لـدي صور لـه وعندما أسـأل أمي تقـول إنه مـات بحادث سيارة وأنـا بعمـر السـابعة تقريبـاً ولا تملك لـه أي صـور! أعـرف أنها تكـذب وهنـاك سـر أو أسـرار تخفيهـا علي هـي حتـى لا تتحـدث عنه أبـداً، أيضـاً رغـم عـروض الـزواج التـي تأتيهـا لأنهـا جميلـة ناجحـة سيدة أعمـال ومصممـة إلا أنهـا ترفـض أي عـرض زواج وكرسـت حياتهـا ووقتهـا لـي فقـط، لـذا قـررت هـذا القـرار فقـط من أجـل أمي وعلى أمل أن تختفي هذه الكوابيس إذا خرجت للعالم الواقعي..

مضـى يومان وأنـا ما زلت مستلقية علـى الفراش أسـتعيد صحتي النفسـية والجسـدية حتـى أخيراً شـعرت بأننـي بخير ونهضـت بدأت بتفقـد هاتفـي ومواقـع التواصـل الاجتماعـي، بعدهـا انتقلـت إلـى موقعـي أتفقـد الطلبـات ثـم فجـأة تذكـرت كابـوس وحشـي عندمـا انتقـل معـي إلـى أرض الواقـع! هـل هـذا يعنـي أن هـذه المـرة أيضاً ستنتقل معـي تلـك المـرأة علـى الواقـع؟!! شـعرت بالخـوف جـدّاً فتلـك المـرأة مخيفـة أكثـر مـن ذلـك المسـخ الطفـل!! لن أسـتطيع تحمـل رؤيتهـا فـي الواقـع! لـذا ذهبـت بـكل نشـاط إلـى الحمـام وتحممـت بميـاه بـاردة حتـى أسـتطيع التركيـز، بعدها توجهـت إلى المطبـخ صـادفـت أمـي والعاملـة الجديـدة مـا أن رأيـت العاملـة الجديـدة تذكـرت ما حـدث معي فـي المـرة الأخيـرة وهو ما تسـبب لـي بالانهيـار! لا أعلـم ما رأيتـه هل هـو خيـال أم هـلاوس أم واقع؟ قالت أمي وهي ترحب بي:

مرحباً عزيزتي هل أنتِ بخير؟ من الجيد رؤيتك هنا وغادرتِ غرفتك أخيراً، أخبريني الآن ما الذي تشتهينه؟ سأطبخ لك أي شيء تريدينه يجب أن تقللي من الأكل بالخارج من أجل صحتك..

قلت بابتسامة: حسناً لا بأس بقليل من المكرونة الحمراء بالدجاج..

قالت بحماس: حسناً سأطهوها الآن من أجلك، آه نسيت هذه العاملة الجديدة إنها جيدة وأيضاً طيبة القلب اسمها «سوكي» سوكي هذه ابنتي ماريا، رحبت بسوكي بشكل سريع وأخذت مياهاً وعدت إلى غرفتي..

وأنا في طريقي للغرفة كانت غرفة التطريز والخياطة الخاصة بأمي أول غرفة بعد السلالم، وبعدها غرفة أمي وبعدها غرفتي، وصلت للأعلى إذ أسمع صوت البكاء والضحك نفسه الذي في الكابوس كان قادماً من غرفة التطريز والخياطة!! بدأت أشعر بالتوتر والخوف الصوت قريب جداً واثقة بأنه قادم من الغرفة! ها نحن مرة أخرى الأمر يتكرر أصبحت الكوابيس تنتقل معي إلى الواقع! تقدمت بهدوء إلى الباب وأمسكت بالمقبض وأدرته حتى فتح الباب بصوت صرير مخيف، أمي مصممة أزياء لذا هذه الغرفة الخاصة بعملها فيها الكثير من آلات الخياطة والتطريز والأقمشة والدبابيس والمنيكانات المصطفة! نعم الكثير من المنيكانات هذا ما يحتاجه كل مصمم منذ طفولتي لا أدخل إلى مقر أعمال أمي لأنني أخاف كثيراً من هذه المنيكانات، دخلت إلى الغرفة وأنا

أحاول أن أجمع شتات نفسي وأنفاسي سمعت الصوت مرة أخرى التفت إلى الخلف إنها تبكي وتضحك تناثرت جميع أنفاسي التي جمعتها للتو، بدأت أرتعش خوفاً رغم هذا لم أخرج ولم أهرب أريد أن أقنع نفسي أن هذه ليست حقيقة أنها مجرد هلاوس، استمررت بالتقدم نحو الصوت مع كل خطوة إلى الأمام الصوت يقترب مني الصوت قادم من أحد المنيكانات! إنها أمامي إنه قادم من هذا المنيكان كان مغطّىً بالقماش الأبيض أنا واثقة هذا ليس منيكان إنها تلك المرأة! إنها امرأة هيئتها وصوتها وتحركاتها حتى أنها تتنفس من خلف القماش ليس منيكان أبداً! وصلت إليها أخيراً قلبي على وشك السقوط بين قدميّ مددت يديّ المرتعشتين أريد أن أسحب القماش وأزيله إنها اللحظة التي ربما سأفقد حياتي إلى الأبد سأسحبها وليحدث ما يحدث! أمسكت به بقوة وأزلته ...!!

ماريا..

قفزت من مكاني التفت إلى الخلف لأرى أمي تقف..

ما بك هل أنتِ بخير؟؟

أعدت نظري إلى المنيكان وبالفعل كان منيكان طبيعيّاً! تنفست الصعداء وشعرت بأن عمري ما زال طويلاً..

أمي: ماريا هل تحتاجين لشيء يا عزيزتي؟؟

قلت بابتسامة مصطنعة وأنا أحاول أن أخفي توتري: لا أمي كنت أريد بعض الدبابيس من عندك لأني سأعمل على فن جديد أيضاً أرغب بالرسم الآن أشعر بأن لدي طاقة رهيبة للرسم..

قالت أمي: حسناً إذا كان الرسم يشعرك بالراحة فلترسمي..

نعم يا أمي الرسم يخلصني من كوابيسي أليست هذه طريقتك التي اقترحتها علي؟

بلى عزيزتي وأنا سعيدة بأن هذه الطريقة تنجح معك ولو بشكل بسيط..

حسناً أنا ذاهبة إلى غرفتي إذا انتهيت من تحضير المكرونة فدعي العاملة تحضرها لي أنتِ ارتاحي..

قبلت أمي وتوجهت إلى الغرفة..

«قالت لي أمي ذات مرة بأن هذه مجرد كوابيس وقالت بأن لا أعطيها أكبر من حجمها، وقالت لي إن الكوابيس تبقى كوابيس وإنها لا تخرج إلى الواقع، وقالت إنه يجب أن أرسم كوابيسي حتى أتخلص منها وأنقلها وأحبسها داخل اللوحات البيضاء، قالت إن كوابيسي مجرد كوابيس صغيرة ولا تصبح كبيرة أبداً..

هذا ما كانت تقوله لي أمي لكي تخفف عني لكن الآن كل شيء أصبح عكس كلام أمي، أصبحت الكوابيس ليست مجرد كوابيس إنها تأخذ مع كل كابوس قطعة من روحي ونفسيتي وصحتي، أنا لا أعطيها أكبر من حجمها لكن هي أصبحت تأخذ من حجمي، أصبحت الكوابيس تخرج للواقع، أصبحت كوابيس كبيرة وليست مجرد كوابيس صغيرة..

لكنْ هناك شيء واحد لم يتغير! في كل مرة أرسم الكابوس على لوحة أو ورقة حتى أتخلص بالفعل منه يختفي للأبد مثل ما

حدث معي مع وحشي يصرخ، عندما رسمته وبعت اللوحة اختفت الأحداث وحتى البصمات من على جسدي، لذا سأرسم هذه المرأة أيضاً يجب أن أفعل ذلك حتى لا تقضي كوابيسي علي..

وصلت إلى المرسم وأخرجت لوحة جديدة ووضعتها على الستاند، وأخرجت الفرشاة واللونين الأسود والأحمر وشغّلت الموسيقى وبدأت برسم تلك المرأة وكانت اللوحة بعنوان: «الضاحكة الباكية»..



٢٨ يناير»
«أحلام جديدة أم كوابيس جديدة؟»

اليوم هو يوم ٢٨ يناير بدأنا سنة جديدة منذ أيام وهو شهر ميلادي، وهذا اليوم هو يوم ميلادي لقد أردت أن أبدأ حياة جديدة حياة غير الحياة التي كنت أعيشها، غير حياة العزلة والانطوائية، أردت أن أجرب هذا العلاج الذي لطالما الكل نصحني به الطبيب وأمي وصديقاتي وأقاربي وكل من حولي أخبروني إذا خرجت من عزلتي فلن أرى الكوابيس مجدداً، لذلك اتخذت هذا القرار وهذه الخطوة أخيراً في هذا اليوم الذي كان بالنسبة لي بداية حياة جديدة، قررت أن أقوم بتجاهل الكوابيس حتى لو رأيتها على الواقع ويجب أن أنشغل بحضور المعارض والسفريات والحفلات حتى لا يكون كل تركيزي عليها، كان اليوم هو بداية معرض الفن معرض عالمي يقام كل عام في عدة دول ويأتي فيه جميع الفنانين من مختلف الجنسيات وجميع الزوار من جميع أنحاء العالم، معرض ضخم ومتكامل وكل فنان يتمنى أن يعرض أعماله فيه، استيقظت الساعة الخامسة صباحاً كان الجو بارداً جدّاً بما أننا في فصل الشتاء الثلوج ما زالت تتساقط، كنت متوترة جدّاً فهذه هي المرة الأولى التي سأكشف فيها عن نفسي بشكل رسمي كالرسامة التي ترسم كوابيسها! هاتفي لا يتوقف عن الرنين بعد ما أعلن المعرض عبر حساباتهم الرسمية أنني سأكون حاضرة هذا المعرض لأول مرة، بدأ الإعلام والصحافة والقنوات

يتصلون بي يتسابقون من يجري معي أولاً مقابلة شخصية! أمي استيقظت وبدأت بالاستعداد والتجهز وارتدت أفضل الملابس والحلي كالعادة وتتحدث مع صديقاتها ولم تترك أحداً إلا وأعطته دعوة لحضور المعرض، جهزت سابقاً جميع اللوح التي سأعرضها وأرسلتها من يومين حتى يتم تنظيمها وأشرفت عليها «روجينا» قررت أن أعرض أربع لوح وكانت منها آخر كابوس لوحة «الضاحكة الباكية» فأنا لم أعرضها بعد للبيع، أتت صديقتي لكي تضع لي بعض المساحيق للتجميل واختارت لي لبساً مناسباً للمعرض، فأنا كنت لا أخرج كثيراً ولا أحضر مناسبات أكتفي بملابسي الرياضية التي أرتديها في المنزل والبلوفرات الواسعة فكنت أخرج فقط للمكتبة لكي أشتري الكتب وأدوات الرسم وإلى المقهى لأشتري قهوة فقط هذان المكانان الوحيدان اللذان أذهب إليهما، سرحت روجينا أيضاً لي شعري وارتديت تنورة سوداء ممسكة على جسدي وبها فتحة خلفية وتيشيرت أبيض عليه رسمة من رسوماتي فأحياناً أرسم وأبدع على ملابسي أنا حقّاً أجعل كوابيسي تحيط بي من كل مكان، وجاكيت صوفياً أسود وشالاً أحمر، وقفت أمام المرآة متأملة نفسي فأنا لم أعتدْ على هذه الأمور متنهدة قائلة في نفسي بأن كل شيء سيكون بخير وإنني أستطيع فعلها وسأغير حياتي..

وصلنا للمعرض أخيراً كانت المرة الأولى في حياتي أحضر معرضاً بصفتي صاحبة أشهر اللوحات، وليس أي معرض كان معرضاً عالميّاً باهراً بكل التفاصيل: مكان كبير وضخم، ساحات تمتد في الأرجاء، لوح مزروعة في كل زاوية، الزخرفات التي

تزين الجدران الديكور الذي يبدو كالتحف الفنية، وكأنه قصر للرسم.. تم استقبالنا من قبل منظمي المعرض رحبوا بي وكنت متوترة كثيراً وكأنني طفلة في يومها الدراسي الأول! أرشدني المنظم إلى منصتي الخاصة التي سأكون بها ومساحتي الصغيرة بالمعرض التي تعرض أعمالي، وصلت إلى مساحتي ورأيت لوحاتي الأربع معروضة بشكل فخم، لا أخفي عليكم عندما رأيتها شعرت بالفخر والانبهار وكأنني لأول مرة أراها، جلست على المقعد المخصص لي وسط لوحاتي، بدأ الناس بالتوافد على المعرض والتجمهر في كل مكان، فلاشات الكاميرات بدأت بالانطلاق والهواتف بدأت بالارتفاع للتصوير هنا وهناك، بدأ حشد من الناس يتجمعون حولي شعرت بالتوتر والاختناق لكن قررت ألا أجعلهما يتمكنان مني، كان الناس مبهورين من طريقة رسمي وشكل رسوماتي المخيف والمرعب! فانطلقت حملة تصوير والفلاشات تغزو عينيّ لدرجة لم أعد أستطيع أن أفتحهما شعرت بالدوران، علمت أمي بأنني بدأت بالتوتر لذا اقتربت مني بابتسامتها المطمئنة وأمسكت بيدي قائلة:

لا بأس ستكونين بخير..

أردت أن ينتهي هذا اليوم فحسب، لكن سرعان ما أتت المديرة منظمة المعرض السيدة «أليز» بابتسامة حماس قائلة وهي تشق طريقها من حشود الصحافة:

مرحباً ماريا كيف حالك؟ إنه لشرف عظيم أن ألتقي بك أخيراً، ومدت يدها لي بحماس حتى تصافحني..

مددت يدي مصافحة لها وأنا أحاول أن أخفي التوتر: أهلاً الشرف لي أيضاً أن أكون هنا..

قالت: حسناً هناك قناة ستجري معاك مقابلة قصيرة بعد قليل هل أنتِ مستعدة؟؟

نظرت إلى أمي محاولة أن أتجنب النظر إلى الآخرين ثم قلت: نعم أنا مستعدة..

بدأت المقابلة والإعلام والجمهور كله من حولي إنها المرة الأولى لي في هذا المنظر المرعب،، كانت الأسئلة خفيفة وسريعة وسهلة استطعت النجاة منها..

المذيع:

مرحباً ماريا أخيراً الفنانة والرسامة ذات الأسلوب الغريب والأكثر رعباً وسوداوية الرسامة التي تستوحي وتستلهم الرسومات من كوابيسها، حضرت معنا اليوم أخيراً في معرض الفن العالمي..

أهلاً بك وتشرفت بالجميع..

المذيع:

أولاً والسؤال الأهم السؤال الذي دائماً يسأله الجميع: لماذا كنتِ تخفين هويتك؟؟

بسبب أنني أرى هذا ليس ضرورياً أبداً، أقصد الإفصاح عن هويتي ليس ضرورياً وليس من اهتمامي كنت أرغب في إخفاء هويتي حتى أعيش خصوصية تامة بعيدة عن الشهرة..

المذيع:

بالطبع هذا من حقوقك، السؤال الثاني والذي يريد أن يعرف إجابته الجميع: هل حقّاً تستلهمين وتستوحين رسوماتك وأعمالك من كوابيسك؟ أم أنها مجرد إشاعة لجذب انتباه الناس؟

بصراحة: نعم هناك الكثير من اللوح وأغلبها من مخيلتي، لكن البعض أيضاً تكون من كوابيسي!! بالطبع كنت أكذب هنا فأنا لم أخبرهم بأن أغلب اللوح من كوابيسي أخبرتهم الكلام الذي طلبت أمي مني أن أقوله لكي أظهر بمظهر طبيعي معتدل وليس غريبة أطوار..

المذيع:

حسناً ماريا ما هي آخر لوحة رسمتِها؟؟

أشرت إلى اللوحة التي تقع في آخر الصف اللوحة الرابعة قائلة: هذه اللوحة بعنوان «الضاحكة الباكية»

المذيع:

كما نرى كالعادة هذه المرأة شكلها مخيف ولكن من أين استلهمتِ هذه الرسمة؟؟

من أحد كوابيسي الأخيرة..

المذيع:

إذاً هل رأيت هذه المرأة في كابوسك؟!

نعم..

المذيع:

لكن هناك نظرية تقول إن أغلب البشر أو ٩٠٪ من البشر يحلمون سواء كوابيس أو أشياء جميلة أو أشياء عادية، فور استيقاظهم ينسون كل شيء حتى لو تذكروا لا يتذكرونها بالتفاصيل، لكن أنتِ كيف يمكن أن تتذكري كل هذه التفاصيل دائماً وتقومي برسمها!؟

أنت قلت: ٩٠٪! إذاً اعتبرني أنا من الـ ١٠٪ الذين لا ينسون أحلامهم..

ضحك المذيع بشكل متصنع..

المذيع:

«بعل فغور»

نبض قلبي بقوة وجسدي بدأ بالارتعاش اتسعت حدقتا عينيّ ثم قلت له بدهشة:

ماذا قلت!؟؟

المذيع باستغراب:

عفواً!! لم أقل شيئاً!.

آنسة ماريا لقد استمتعنا بوجودك هنا معنا شكراً لك..

وأنهى المذيع اللقاء وأنا لم أعد قادرة على الحراك من شدة الصدمة! متيقنة بأنني سمعته يقول هذه الجملة نفسها التي قالتها لي المرأة «الضاحكة الباكية» في الكابوس!؟ هل أتخيل؟ ثم نظرت إلى اللوحة: ألم ينتهِ أمرك بعد؟!! لن تختفي الأحداث

التي تحصل معي بسببها! لن ينتهي هذا الكابوس إلا عند بيع اللوحة والتخلص منها مثل لوحة «وحشي يصرخ»!..

قاطع أفكاري صوت امرأة قائلة بحماس:

سأشتريها..

التفت إليها، كانت شابة بعمر الثلاثين تقريباً، جميلة الملامح تملك شعراً أشقر متوسط الطول لديها ابتسامة جميلة شكلها وهيئتها يوحيان بأنها شخص ثري بالطبع لا يوجد في هذه المعارض إلا الأثرياء..

قلت لها: ماذا؟

استمرت بحماس وهيَ تتأمل اللوحة:

لقد أحببتها حقّاً، أرى أن هذه المرأة كانت تعاني أكثر من كونها مخيفة!..

قلت لها:

وكيف عرفتِ؟!

أكملت:

انظري إلى الدمعتين الداميتين هذا يعني أنها تبكي بالطبع وتعاني وحزينة، وأن تبكي دماً هذا يكون أكثر ألماً من البكاء بشكل طبيعي، ثم إنها لا تريد أن تبتسم لكن وكأن أحداً ما أجبرها على الابتسام بشق فمها من الأذن اليسرى حتى الأذن اليمنى ليصنع لها ابتسامة مصطنعة..

قلت لها باستغراب:

وكيف توصلتِ إلى هذا التحليل؟؟

قالت وهيَ تمد يدها لي للمصافحة:

أعتذر لم أعرفك على نفسي أنا «إليزابيث» أعمل محللة لأشهر الرسومات واللوح لمختلف الفنانين، وأيضاً ناقدة في الفن التشكيلي تشرفت بك لطالما أردت مقابلتك وأن أقتني إحدى لوحاتك وها هو أتى هذا اليوم..

مددت يدي بابتسامة:

أهلاً إليزابيث الشرف لي أيضاً..

اشترت إليزابيث اللوحة ثم التقطت لي بعض الصور مع اللوح ومعها، تحدثنا كثيراً عن أمور الفن ومجالاته، وأيضاً تعرفت على فنانين كثيرين في المعرض لا أخفي عليكم لقد كنت سعيدة لاحتكاكي بالعالم الخارجي والواقعي، انتهى المعرض أو انتهى اليوم الأول من المعرض ويوم وجودي فيه لأن المعرض يستمر لمدة أسبوع وكان اليوم الأول افتتاحاً مع حضور الفنانين، والأيام البقية ستعرض اللوح والأعمال الفنية واستقبال الزوار أكثر، بالنسبة لي بعت ثلاث لوح وبقيت لوحة وجميع اللوح لن تذهب إلى مشتريها حتى ينتهي المعرض هذه سياسة معارض الفن، ودعت بعض أصدقاء العمل وأنا في طريقي للخروج من المعرض لفت انتباهي صالة عرض واسعة جدّاً فخمة الطراز وفي نهايتها يوجد سلالم ضخمة ذهبية اللون تؤدي إلى دور ثانٍ كما قلت سابقاً كأنه قصر ملكي لكن هذه الصالة بالذات وهذه الساحة وكأنني رأيتها في مكان ما؟!!

صعدنا إلى السيارة أنا وأمي وصديقتي روجينا، طوال الطريق كانت أمي متحمسة وتحكي لي عن كل شيء، كيف هيَ ردة فعل الناس عن أول ظهور لي، وكيف شعورهم، وتعليقات الناس في جميع مواقع التواصل الاجتماعي، وردود فعل الصحافة والإعلام، والأهم صديقاتها ومعارفها كيف امتدحوني وكيف أمي شعرت بالفخر أمامهم وكانت سعيدة..

ذهبنا إلى مطعم راقٍ كانت أمي مصرة أن تحتفل بعيد ميلادي في هذا المطعم مع بعض صديقاتها المقربات وخالتي وبناتها، صراحة دائماً لا أحب أجواء الاحتفال ودائماً ما أكتفي بكعكة وشمعة وقهوة وأنا في غرفتي واستقبال الهدايا فقط من أمي وروجينا، ولكن اليوم كان مميزاً بالنسبة لأمي كانت سعيدة لذلك تركتها تفعل ما تريد وتتفاخر بي قدر الإمكان، أحضروا الكعكة كان شكلها مميزاً وجميلاً وتترصع عليها شموع النافورة وعمري واسمي وأيضاً خالتي أحضرت كعكة أخرى فيها تهنئة لنجاحي في المعرض، وأحضر لي الجميع العديد والعديد من الهدايا، ولكن أنا كنت شاردة الذهن تقريباً وأكتفي بتوزيع ابتسامات مصطنعة هنا وهنا وأفكر أريد أن أعرف هل ستختفي أحداث كابوس «الضاحكة الدامعة» لأنني بعت اللوحة أو ستستمر؟؟

على كلٍّ يجب الآن أن أعيش هذا اليوم السعيد، انتهى الاحتفال وتناولنا العشاء والجميع غادرن، يبدو أن أمي قامت بحجز المطعم كاملاً من أجلي لأنه لم يكن يوجد غيرنا مستمتعات، الجميع غادرن حتى روجينا بقيت أنا وأمي قامت

بمناداة السائق حتى يأخذ الهدايا إلى السيارة لذا أخبرتها بأنني سأذهب إلى دورة المياه، قالت: حسناً أسرعي لا تتأخري..

ذهبت مسرعة إلى دورة المياه كان المطعم يعم بالهدوء القاتل، بسبب عدم وجود أي أحد غيرنا نحن والعاملين لذا دخلت إلى دورة المياه جلست على المقعد فجاءة سمعت صوت فتح الباب أحدهم دخل إلى دورة المياه! رغم أنه لا يوجد في المطعم غيرنا والعاملون جميعهم رجال وهذه دورة مياه للنساء! هل يوجد في العاملين امرأة ولم أرَها؟ وحتى لو كان يوجد الموظفون لهم دورة مياه خاصة لهم! لم أتوتر كثيراً في النهاية هذا مطعم وبالتأكيد يوجد أحد غيرنا، لكن لم أسمع صوت أي مغسلة أي أنها لم تفتح أي مياه لكي تقوم بغسل يديها! وأيضاً لم أسمع أي صوت لباب حمام يفتح أو يغلق هذا يعني أنها لم تدخل أي حمام! إذاً هل تكتفي بالنظر في المرآة وستخرج؟! لكن أنا لا أسمع أي نفس أو صوت، هدوء قاتل!! فجأة سمعت صوت خطوات تسير كان صوت كعب أي يعني أنها امرأة شممت رائحة عطرها كان مميزاً جداً وجميلاً وغريباً! تختلط معها رائحة الدخان يبدو أنها دخلت لتتناول السجائر، شعرت بالارتياح لا أعلم من هيَ ولكن يبدو أنها طبيعية وهذا الأهم.. انتهيت من الحمام وفتحت الباب وخرجت لم أجد أي أحد؟؟ هل من المعقول أنها خرجت ولم أسمع صوت الباب؟ على ما يبدو هذا ما حدث! لذا قمت بغسل يديَّ وأنا في طريقي للخروج وجدت على إحدى المغاسل قداحة كانت غريبة الشكل جداً تناولتها كانت مليئة بأشياء أو مصنوعة من

أسـنان!! نعـم كانـت تلغمها الأسـنان من جميـع الجهـات، خمنت بالطبـع أنها للمـرأة التي دخلـت هنا يبـدو أنها نسـيتها، لـذا أخذتها معـي ولا أعلـم لمـاذا؟ وتوجهـت للخـارج وجـدت أمـي تنتظرني ثم قالت:

لماذا تأخرتِ؟ هيا أسرعي السائق ينتظرنا ،،

انتظري يا أمي هل رأيت امرأة دخلت إلى دورة المياه؟؟

امرأة؟ لا.. لا يوجد هنا أحدٌ غيرنا نحن والعاملين..

لا يا أمي يبدو أنك لم تنتبهي لها..

قاطع حديثنا أحد مديري المطعم قائلاً لأمي:

أتمنى أنك استمتعتِ كثيراً يا سيدة «روبرت» أنتِ وضيوفك..

أمي:

نعم بالطبـع أنا وضيوفـي وابنتـي كنا سـعداء لقد فعلت كل شـيء خططـت لـه بانتظـام وبشـكل جميـل والخدمـة كانـت مميـزة جـدّاً شكراً لكم..

المدير:

العفو وأتمنى النجاح الأكثر لابنتك الموهوبة..

قلت له:

شكراً.. لكنْ لدي سؤال؟

أمـي وبـدأت علامـات التوتـر تظهـر عليها فهـي تعـرف تصرفاتي وأسئلتي الغريبة مع الناس..

المدير: تفضلي ما هو؟

هل هناك أحد غيرنا اليوم؟ أقصد هل هناك زبائن غيرنا؟

لا.. لقد حجزت والدتك المطعم بالكامل اليوم ولم يكن هناك أحد غيركم..

حسناً.. هل هناك نساء يعملن هنا في المطعم؟؟

المدير وبدا عليه التجهم:

صراحة مطعمنا العاملون هنا فقط رجال ولا يوجد نساء بيننا وأبداً هذه ليست عنصرية لفئة محددة أو شيئاً من هذا القبيل لكن منذ افتتاح المطعم وهو يسير على هذا النهج..

صعقت عندما قال بأنه لا يوجد نساء قلت له:

لا لا.. لا، عليك ألا تفهمني بشكل خاطئ أنا لن أضر بسمعة مطعمكم لكن..

المدير:

لكن ماذا؟؟

أمي مقاطعة الحديث بضحكة مصطنعة:

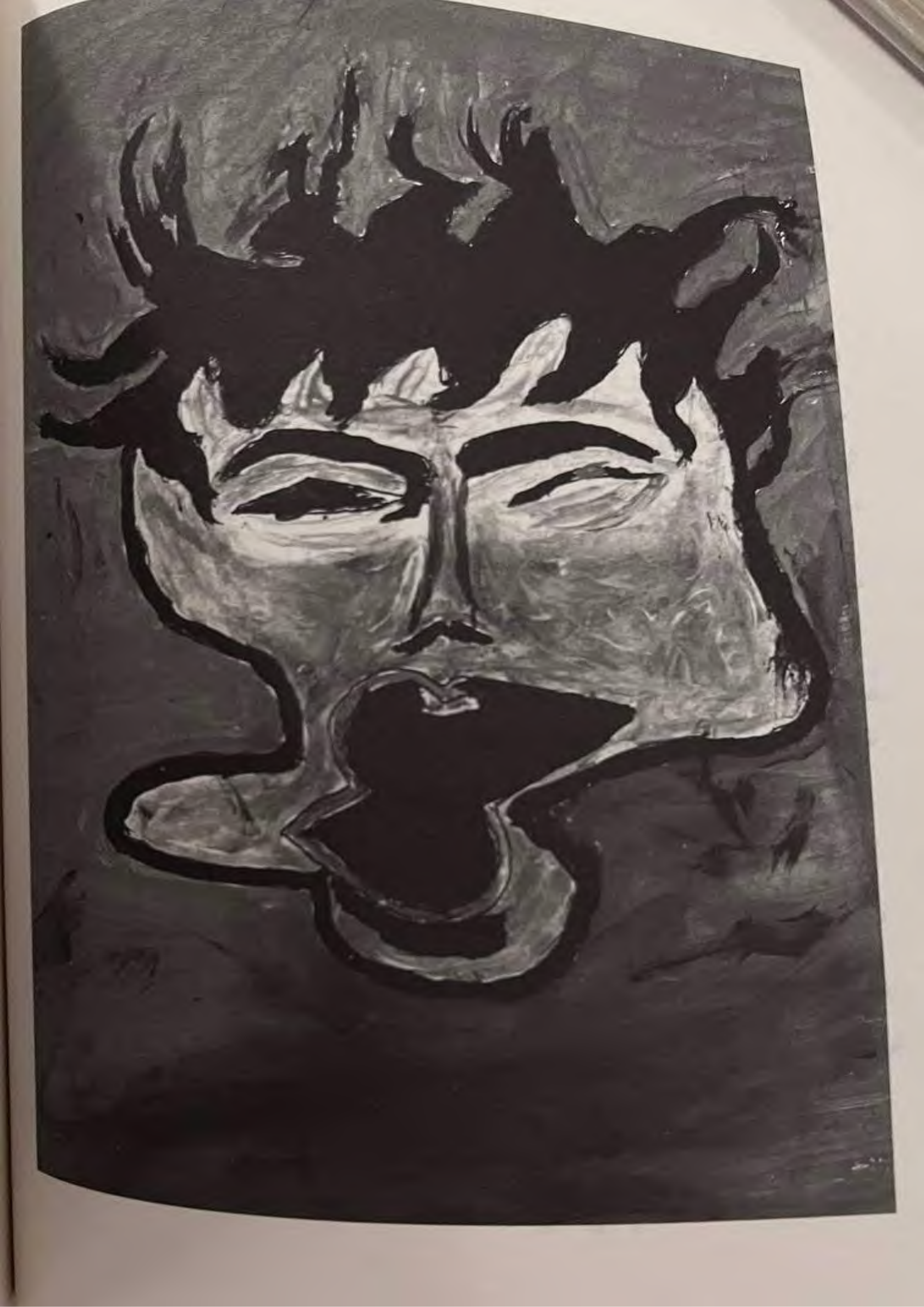
انتهى الأمر الآن شكراً لكم على هذه الليلة الرائعة والمميزة سيكون مكاني المفضل للاحتفال لقد تأخر الوقت هيا يا ماريا..

المدير:

العفو سنستقبلكم في أي وقت..

وصلت إلى المنزل أخيراً توجهت إلى دورة المياه وتحممت سريعاً وخرجت، عندما رأيت غرفتي شعرت بأنني اشتقت لها كثيراً، شعرت بأنني غبت عنها شهراً وليس بضع ساعات فقط، فهذه تقريباً أول مرة أخرج منها لساعات طويلة أو يوم كامل تقريباً، وضعت هواتفي في الشاحن وتوجهت إلى المرسم لكي أقوم بترتيبه بعد الفوضى التي أحدثتها وأنا متعجلة..

قمت بالترتيب وتجميع الأغراض والتقليل من الفوضى،، وأنا منشغلة بالترتيب سمعت الصوت المعتاد! الصوت الذي اعتدت عليه وأصبح جزءاً من روتين يومي، الصوت الذي لم أستطع أن أميزه حتى الآن ولا أعرف كيف أشرحه ولا أعرف أين مصدره!! هذا الصوت يصدر دائماً ظننت في البداية أنه مع كل كابوس لكن حتى الأيام التي لا أرى فيها كوابيس أيضاً يظهر أنه كوجبة رئيسة! توقفت عن الترتيب كالعادة وجلست لوهلة أنتظر الصوت يظهر مرة أخرى محاولة التركيز من أين يظهر وما هو!؟؟ لكن كالعادة بدون أي نتيجة مهما بحثت لا أجد أي شيء ولا أتوصل لشيء!.. انتهيت من الترتيب بعدها توجهت إلى السرير إنها اللحظة المفضلة لي بعد يوم طويل متعب وشاق، أمسكت الهاتف تفحصت جميع مواقع التواصل الاجتماعي والمقالات التي تحدثت عني وعن ظهوري الأول مع لوحاتي.. لم أشعر بنفسي من شدة التعب رغم أن الأمر لم يكن متعباً، لكن هذه المرة الأولى التي أبذل فيها مجهوداً وغصت في نوم عميق...





«اعوجـــاج»

«لقـد وعـدوا بـأن الأحـلام يمكـن أن تتحقـق! لكـن نسـوا أن يذكروا أن الكوابيس تتحقق أحياناً»!!

مستلقية على شـاطئ ذي رمال سـوداء الرياح الشـديدة متوسـطة البـرودة، أمـواج البحـر تتراقـص وتتلاطـم بعضها في بعـض، صوت الطيـور مـن فوقـي تغنـي هـل هـذا كابـوس؟ لا يبـدو كذلـك على الإطلاق كل شيء هنا مثالي وطبيعي وجميل!!..

فجـأة تحول المشـهد مـن النهـار إلـى السـواد الكامـل أصبح كل شـيء من حولـي ظلامـاً دامسـاً!! نهضت مـن مكانـي ووقفـت على قدمـيّ بـدأ قلبـي بالخفقـان بشـدة، مـا زلـت أشـعر بالريـاح البـاردة واسـمع صـوت البحـر، وأقدامـي تتحسـس الرمـال هـذا يعنـي أنني مـا زلت فـي المكان نفسـه لكنه مظلـم بشـدة لدرجة لا أسـتطيع معها أن أرى كفي!! أسـير بخطـوات متعجلة ما زلت أسـمع صـوت البحر لكـن لـم أعـد أراه، فجـأة لمحـت ضوء شـمعة فـي طريقـي توجهت إليهـا حتـى وصلـت إليهـا والتقطـت الشـمعة، اختفـى صـوت البحر والريـاح وحتـى الرمـال الآن أشـعر بأننـي أقـف علـى أرض صلبـة، ومكان مغلق وكأن الشمعة قامت بنقلي إلى مكان آخر..

سـاعة الحائـط تـدق بعنـف معلنة عـن قـدوم منتصف الليـل بكل جبروته وسـكونه وهدوئـه وظلمتـه إنه الظـلام المخيف، إنـه الوحدة المميتة والجنون المطبق..

ها أنا أقف في قلب الظلام مرة أخرى أو للمرة المائة بعد المليون، أحمل بين يديّ شمعة تتراقص نيرانها لتداعب وحش الظلام!! ينعكس لهيبها على وجهي فأبدو كخاطفة الأرواح التي جاءت لتسلبك روحك لكن على العكس دائماً أنا المهددة بسلب روحي! أواجه مرآة الحائط مع الساعة وأنظر لها في تركيز شديد، أنظر إلى لهيب الشمعة المنعكس في المرآة، إنه يختلف عن حركة الشمعة التي في يدي! وكأنها ليست عكسها! كأنها شمعة أخرى!!

لهيب الشمعة التي في المرآة بدأ يتراقص بسرعة ذهاباً وإياباً وكأن هناك رياحاً داخل المرآة تلعب به!! عكس الشمعة التي بيدي إنها ساكنة تماماً!

لهيب الشمعة التي بالمرآة وكأن هناك أحداً يقوم بنفخه! بدأ بالانطفاء شيئاً فشيئاً، أنظر إلى شمعتي فهي ما زالت ساكنة ومشعة! أعيد نظري في الشمعة التي في المرآة إنها على وشك أن تموت! أنا واثقة بأن هناك أحداً يقوم بنفخها وبالفعل انطفأت الشمعة التي في المرآة!!!

لكن الشمعة التي بيدي ما زالت مضيئة لكن الغريب هنا أن المكان أصبح ظلاماً جدّاً! لا أستطيع أن أشرح لكم لكن الشمعة في يدي ما زال لهيبها مشتعلاً لكن المكان أصبح مظلماً جدّاً جدّاً وكأن الضوء كان من الشمعة التي في المرآة بينما شمعتي مزيفة!..

نظرت في المرآة بدأ يظهر بداخلها شيء غريب راحت تتشكل في المرآة وجوه كثيرة لأشخاص من كافة العصور الأزياء مختلفة وقديمة جدّاً! جميع الأوجه اجتمعت معاً وكأن المرآة أصبحت

لوحة فنية أصبحت وجهاً واحداً مخيفاً وغريباً يتربص بي ويحملق في وجهي!! وجه شاحب مائل إلى اللون الرمادي، وشعر أسود مجعد! أصبحت المرآة لوحة حمراء بالكامل توسطها هذا الوجه، حتى فتح فمه وبدأ بالصراخ لكن بدون صوت! كان وجهه يتموج أو ينعوج شيئاً فشيئاً! وأنا أراقب كل هذا في هدوء وسكينة! شيئاً فشيئاً يتوسع فمه ووجهه!! قلبي بدأ بالاضطراب جبيني أصبح كتلة من العرق، الخوف يلامس روحي من الداخل، فجأة خرج صوت الصراخ مدوياً بقوة تحطمت المرآة وتناثر الزجاج على وجهي صرخت صرخة قوية لأعلن بها الهروب أو الخروج من هذا الكابوس..

أسمع صوت رنين هاتفي لكن لم أستطعِ النهوض من على السرير، غارقة بعرقي كالعادة لا أستطيع الحراك وكأن الجاثوم مجثم بجسده فوقي! أراهن أن هذا الكابوس وكأنه سرق حركتي!!

أخيراً استطعت النهوض من على السرير كنت أشعر بصداع العالم أجمع في رأسي، وأشعر بدوران وغثيان شديدين، التقطت الهاتف أخيراً بعد معاناة للوصول إليه، وأجبت كانت روجينا بالطبع:

مرحباً ماريا..

أهلاً روجينا.. قلتها بصوت راجف

إنها العاشرة صباحاً إذا كنت لا تعلمين!

قلت باستغراب:

أعلم ماذا؟؟

أتعرفيـن الفتـاة المهتمـة بالفـن والمحللـة التـي تحدثـت أمس إليك؟ إليزابيث..

نعم اشترت مني لوحة،، ما خطبها؟

لقد وصلني خبر بأنها ماتت صباح هذا اليوم!!

صدمت لوهلة سـرت القشـعريرة بجسـدي حتى شـعرت بالنشاط وذهب التعـب والخمول، صحيـح أنـي لا أعرفها لكن تلـك الدقائق التـي قضيتهـا معها كانـت كفيلة بأن أشـعر بالحـزن عليها، كانـت فتاة صغيرة وجميلة وشغوفاً..

روجينا:

ماريا هل أنتِ معي؟؟!

آه نعـم.. نعـم.. معك لقد شـعرت بالصدمـة والحـزن عليها، لكن هل تعرفين كيف ماتت؟ كانت تبدو بخير كلياً!؟

لا أعلـم صراحـة إلـى الآن لكن قـال صديـق لـي بأنهـا ماتت في شـقتها، وقـال بأنه شـاهد العديد من سـيارات الإسـعاف أيضـاً بدأت الأخبـار والمقالات تنشـر عن موتهـا بالطبـع الآن ستنتشـر الأكاذيب والإشاعات في النهاية حقيقة موتها ستظهر لكن ليس اليوم..

قلت: آه حقّاً هذا غريب جدّاً!

روجينـا: حسـناً أنـا لـدي رحلـة عمـل ومـن الممكـن أن أغيب أسبوعين هل يمكن أن تديري بعض أعمالك البسيطة؟

نعم بالطبع عزيزتي ما الذي تقولينه؟ لا بأس اذهبي سأكون بخير..

بعد أن أنهيت المكالمة مع روجينا، توجهت إلى دورة المياه وأنا أفكر بتلك الفتاة لقد تبادلنا أرقامنا حتى إنها أول صديقة لي في عالم الفن! هل حظي لهذه الدرجة بائس؟! انتهيت من الاستحمام وتناولت وجبة الإفطار وأعددت لي كوباً من القهوة حتى أبدأ بالرسم، تذكرت فجأة الكابوس الذي شاهدته اليوم! هل أرسمه؟ أم أنتظر قليلاً حتى أشاهده على الواقع؟

لم أنهِ كلامي إلا وبدأت أشم شيئاً ما هذه الرائحة؟ أنا أعرفها جيداً، إنها رائحة شموع!! تلفت يميناً ويساراً ونهضت من مكاني وخرجت من المرسم إلى غرفتي لا يوجد أي شمعة ولا أي شيء يحترق ولا حتى شيء يخص الكهرباء لأن جميع المقابس مغلقة ولا أشحن أي شيء الرائحة أصبحت أقوى إنها بالفعل رائحة احتراق الشمعة! استوعبت وقتها أن الكابوس بدأ يتحول إلى واقع!! عرفت أنه يجب أن أرسمه قبل أن يتوغل أكثر إلى واقعي..

أخرجت لوحة كبيرة الحجم حتى أرسم كل شيء أستطيع تذكره وبدأت بالرسم،، رسمت تقريباً قرابة ساعتين ونصف الساعة حتى أنهيتها أخيراً، لم يكن في هذا الكابوس تفاصيل كثيرة أو أنا على الأغلب دائماً ما أركز على رسم الشخصيات وأترك التفاصيل بالطبع كالأماكن والمباني وغيرها، لأن الشخصيات هيَ الرئيسة والأكثر شرّاً ورعباً،، أنهيت الرسمة وتأملتها كانت الخلفية حمراء اللون، ووجه ذلك الرجل يتوسطها الوجه الشاحب الرمادي المموج المعوج أطلقت عليها لوحة «اعوجاج»..

وضعت الفرشاة وذهبت لأغسل يديّ، لكن فجاءة وأنا متوجهة إلى الحمام أحسست بغرق في قدميّ نظرت إلى الأسفل كانت أرضية غرفتي كلها ماء!! صدمت من منظر المياه الكثير إنها غارقة بالفعل!! مستحيل من أين أتى هذا الماء؟! كانت أرضية الغرفة معبأة بشكل كامل لدرجة أن المياه وصلت إلى كعبيْ قدميّ!! لم أستوعب الأمر حتى بدأت المياه بالارتفاع والازدياد بشكل سريع ارتفعت شيئاً فشيئاً كل هذا حدث في ثوانٍ وأنا أقف متصلبة حتى وصلت المياه إلى ركبتيّ!! كنت أقف مصدومة بدون حراك أنا متيقنة بأنني مستيقظة أنا لست نائمة! هل من المعقول نمت وأنا ارسم؟ لكن للتو استيقظت ولست أشعر بالنعاس هذا ليس كابوساً إنه كابوس واقعي!!

تراجعت إلى الخلف بسرعة لا أعلم أين أذهب عقلي توقف عن التفكير وقلبي سيتوقف عن النبض بعد قليل من شدة الخوف استوعبت أن باب الغرفة أمامي يجب أن أتقدم إليه لأخرج من الغرفة نعم يجب أن أخرج قبل أن أغرق، حاولت أن أركض باتجاه الباب طبعاً ركضتي كانت ثقيلة وبطيئة بسبب المياه وكأنني محملة بأثقال اقتربت أخيراً من الباب لكن فجأة أحدهم أمسك بقدميّ وسحبني إلى الأسفل، سقطت تحت الماء وأنا أصرخ وأصرخ بدون صوت لأنني تحت الماء وكل أصوات صرخاتي تتحول إلى فقاعات شعرت بأن بحراً يبتلعني وليس مجرد مياه في غرفتي حاولت أن أنظر إلى الشخص الذي يمسك بقدميّ، التفت إلى الخلف حتى رأيته! كان الرجل نفسه صاحب الوجه الرمادي

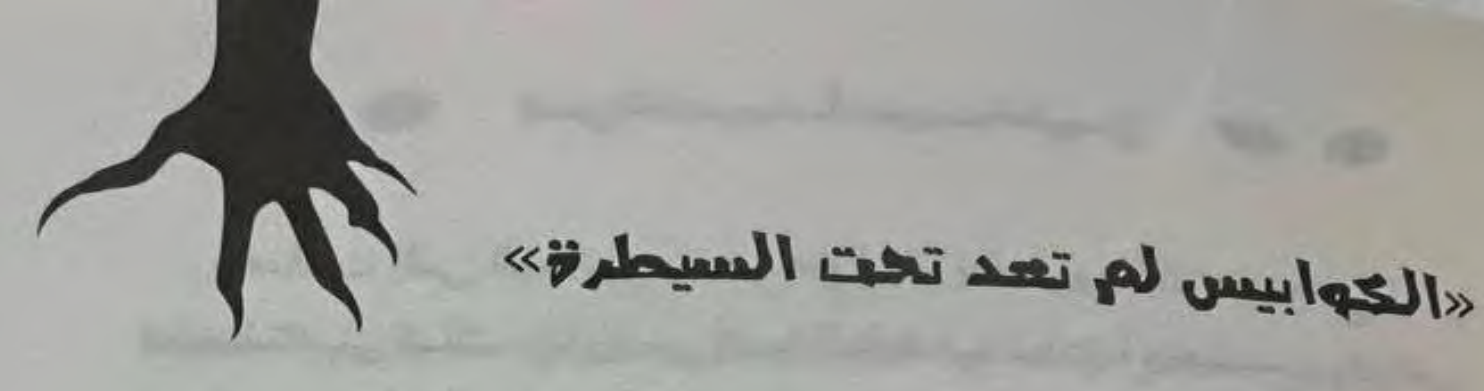
المعوج!! صرخت صرخة تحت الماء حتى شعرت بأنني ابتلعت كل المياه التي في غرفتي،، أخيراً فتحت أمي الباب وكان وجهها وملامحها في دهشة وصدمة وتنظر إلي بملامح متسائلة! وأنا مستلقية على الأرض!

ماريا!! ما بك يا عزيزتي؟ هل أنتِ بخير؟ لماذا أنتِ مبللة هكذا؟

نظرت حولي وكانت الغرفة جافة تماماً ولا يوجد بها شيء غريب وكانت طبيعية! وكأني بالفعل أنا ابتلعت المياه وأنا المبللة والغريقة وحدي!!.. هل أتخيل؟ لكن لماذا أنا مبللة؟؟

نهضت رميت بنفسي في حضن أمي منهارة وجاهشة بالبكاء لا أعلم تفسير هذا الشيء بالذات الذي حدث معي، إلى الآن هذا هو أكثر وأقوى حدث مرعب حدث معي من كابوس إلى أرض الواقع..

استيقظت من النوم لا أعلم كم ساعة نمت بعد أن أعطتني أمي مهدئات من أدويتي التي أوقفتها بدون استشارة الطبيب، أشعر بأن جسدي وكأنه خارج للتو من معركة مميتة! مددت يدي إلى الهاتف ونظرت إلى الطلبات الهائلة على لوحة «اعوجاج»، لم أعد أهتم بالسعر لذا أخذت أول طلب ونهضت بحماس وغلفت اللوحة بسرعة بدون أن أنظر إليها حتى، واتصلت على السائق وأعطيته إياها بسرعة ليسلمها إلى صاحبها، شعرت بأنني تخلصت من عبء كابوس آخر كابوس كان أشد ثقلاً على النفس..



«الكوابيس لم تعد تحت السيطرة»

مضى أسبوع على ذلك الكابوس الواقعي لغرقي في الغرفة! بعد أن بعت اللوحة مررت بأسبوع هادئ وطبيعي وخالٍ من الكوابيس سواء في النوم أو في اليقظة، كان يوم الاثنين بداية أسبوع جديد، استيقظت في الصباح الباكر وقررت قبل ذهابي إلى موعدي الأول مع طبيبي النفسي بعد التوقف بعد أن أقنعتني أمي بأنه من الضروري أن أستكمل العلاج، لذلك أصبحت أكتب لي خططاً وأخرج كثيراً لأنسى الكوابيس فقررت أن أخرج أولاً لتناول الإفطار ثم إلى مقهى الرسم إنه مقهىً للرسم تستطيع فيه أن ترسم وتشرب القهوة بتركيز عالٍ وغير مشوش ناهيكم عن الديكور المريح والمبدع، قد افتتح هذا المقهى للتو قريباً من منزلي ولا أنكر أن ذلك المقهى ساعدني كثيراً للخروج من انطوائيتي وكسلي وعزلتي، وأصبحت أخرج إليه كثيراً وتعرفت فيه على عدد من الرسامين، كان المقهى كبيراً وبه ثلاثة طوابق الطابق الأول يحتوي على جلسات غير الجلسات الخارجية، والطابق الثاني يحتوي على ورش عمل للفن والرسم والنحت وأدوات الرسم بجميع أنواعها الألوان والأقلام والفرش بكل مكان بشكل مثير ومدهش، والطابق الثالث يحتوي أيضاً على جلسات والعديد من اللوح وفنانون مشهورون يقومون بعرضها هناك كالمزاد..

وصلت إلى المقهى بعد تناول الإفطار وطلبت قهوتي ومعها قطعة تشيز كيك باللوتس إنها المفضلة لدي، وجلست بالداخل لم أستطع أن أجلس بالجلسات الخارجية بسبب الطقس البارد، قررت أن آخذ استراحة هذا الأسبوع من الرسم لذلك أحضرت معي كتاباً أو بالأحرى رواية تصنيفها جريمة وغموض فكانت من التصنيفات المفضلة لي، انغمست بالقراءة بدون توقف حتى رن منبه الهاتف بأنه حان الوقت على الموعد، لذا نهضت بسرعة وتوجهت إلى العيادة النفسية لطبيبي، وصلت إلى هناك على الوقت كان المكان هادئاً كالعادة بالطبع لم أشتقْ لهذا المكان من يمكنه أن يشتاق للعيادات النفسية التي تسمع من جدرانها همساً لأصوات أناس يعانون نفسياً وعقلهم لا يتوقف عن الحديث! وخيالاتهم لا تتوقف عن صنع مشاهد سيئة ومرعبة؟! قامت الممرضة المساعدة والسكرتيرة الخاصة للطبيب بالترحيب بي بابتسامة:

مرحباً آنسة ماريا لقدومك هنا مجدداً اعلمي بأنك اتخذتِ القرار الصحيح..

قلت لها بابتسامة مصطنعة:

شكراً لكِ..

قالت بحماس:

أوه أيضاً تهانينا على نجاحك في الأيام السابقة لقد شهدت صورك بكل مكان أنتِ تستحقين هذا النجاح..

شكراً لتشجيعي ممتنة لكِ..

قاطع حديثنا الطبيب وهو يخرج مع مريض آخر:

المريض: شكراً لك أيها الطبيب كريستوفر سأحاول الحضور إلى الجلسات العلاجية الجماعية..

الطبيب: لا لا تحاول يجب أن تأتي ومن الضروري أن تأتي على الأقل مرة في الشهر سيساعدك ذلك كثيراً..

المريض: حسناً سآتي وداعاً أراك الأسبوع القادم،، التفت المريض مغادراً ولكن أتت عيناي بعينيه نظر إلي بطريقة غريبة ومخيفة لذلك أنزلت عينيّ بعدها ذهب وبدا عليه الخوف وكأنه شاهد شبحاً للتو..

الطبيب كريستوفر:

انظروا من هنا! أخيراً ماريا استطعتِ أن تتخذي هذه الخطوة وتعودي إلى علاجك

نعم شكراً لك أيها الطبيب وأيضاً الفضل يعود إلى أمي وإليك بإصراركما علي..

قال بابتسامة وهو يدخل قبلي إلى العيادة:

الفضل الأول يعود إلى إصرارك أنتِ بالتأكيد هناك شيء بداخلك يريد أن يستمر في العلاج، هيا تفضلي..

دخلت إلى العيادة النفسية لأعترف أنه أكثر مكان مشع وجميل ومريح مع الكتب الموضوعة في كل الجوانب والمجسمات اللطيفة التي تبعث الارتياح والنوافذ العملاقة التي يخترقها ضوء الشمس الصافي والساعة الرملية التي ينبعث منها رائحة معطر للجو جميل عيادة مثالية لكنها تظل عيادة نفسية..

جلست على المقعد المخصص لي وهو جلس أمامي، سألني:

هل ترغبين بشرب شيء؟

ماء فقط، شكراً لقد تناولت الإفطار والقهوة قبل مجيئي إلى هنا..

طلب المياه لي،، ثم قال: حسناً أولاً أهنئك على نجاحك الباهر لقد قامت والدتك بدعوتي لكن أعتذر كنت وقتها خارج البلاد أنا حقّاً فخور بك تستطيعين أن تصلي إلى أعلى من ذلك..

شكراً أيها الطبيب، لا داعي للاعتذار فكل شخص لديه عذره، أيضاً يجب أن أشكرك أنا لقد فعلت الكثير من أجل مساعدتي وما زلت تفعل..

قال وهو يناولني المياه ويرتشف من قهوته:

لا داعي للشكر فهذا عملي، وأنتِ فتاة صغيرة في السن موهوبة شغوف وتستحقين الحياة الطبيعية بدون معاناة،،

شكراً على كلامك اللطيف يا دكتور..

كان الطبيب «ستيف كروستفر» هذا اسمه الكامل من أشهر الأطباء ليس فقط في البلاد بل في العالم لديه شهادات عديدة في الطب النفسي وخبرات طويلة فهو يتعامل مع مرضاه وكأنهم أصدقاؤه لذا دائماً ما تأتيه الانتقادات والإشاعات لكنه لا يهتم، لديه صفات خاصة وسحر خاص في جذب المرضى وغير المرضى أيضاً مؤلف لعديد من الكتب، يمتلك مظهراً وسيماً: لون حنطي طويل ورفيع القامة يبلغ من العمر ٤٧ عاماً ولكنه يبدو

بعمر العشرين وأنا من يبدو بعمر الـ ٤٧! مطلق ولديه فتاة صغيرة اسمها «مارينا» لذلك دائماً ما يخبرني بأنني أذكره بابنته اسمانا يتشابهان وأيضاً يقول بأنها تحب الرسم وهيَ ما زالت بعمر الـ ١١ عاماً! لا تسألوني كيف عرفت كل ذلك بالطبع هو يخبرنا بكل شيء كما نحن نخبره بكل شيء لهذا من الممكن أن هذا أحد الأسباب التي تجعل المرضى من جميع أنحاء العالم يصطفون من أجل أن يأخذوا مواعيد معه ويكون طبيبهم الخاص..

لنعدْ إلى الجلسة: بعد أن انتصفنا الجلسة كانت الجلسة الأولى بعد التوقف خفيفة حكيت له بشغف وحماس عن الأشياء الجميلة التي حدثت معي خلال بداية السنة وهو مستمع إلي بابتسامة لطيفة، ثم قال:

حسناً أنتِ تبلين حسناً كما أرى، ولكن أخبريني الآن: ماذا عن الأشياء غير المرغوب بها وحدثت معك؟

صمت قليلاً أفكر من أين أبدأ؟ وكيف أخبره عن الكوابيس التي أصبحت معي في الواقع؟ وأني أتخلص منها أثناء رسمي لها وبيع اللوحة! وكيف سيصدقني؟ إذ حتى صديقتي روجينا لم تصدقني وأمي لم تصدقني! بالتأكيد هو سيحسم الأمر وسيقول مجرد هلاوس! وأنا واثقة بأنها ليست هلاوس ولا أوهاماً، واثقة بأنها حقيقية!

قاطع أفكاري الطبيب:

أنتِ لا تعرفين من أين تبدئين أليس كذلك؟

لا أعلم إذا هل ستصدقني أم لا؟

صراحة.. بلى..

الطبيب:

ما الذي تقولينه؟! أنتِ تعرفين جيداً أن موضوع التصديق من عدمه ليس المشكلة، المشكلة هيَ إذا احتفظتِ بمعاناتك في داخلك ولم تخرجيها..

أعلم لكن لو كان ذلك خارج مقدار العقل والخيال والهلاوس!!

قال بابتسامة:

إذاً أنتِ خائفة أن أقول لك: كل ذلك هلاوس أليس كذلك؟

قلت بحزن:

بلى.. وأنا لا ألومك صراحة..

حسناً إذاً لن أضغط عليك إنها الجلسة الأولى لك لذلك لن أجبرك أن تخبريني بكل شيء، ولكن هل أستطيع إخبارك بشيء؟

قلت:

نعم تفضل..

الطبيب:

ما رأيك أن أقترح عليك اقتراحاً سيكون مؤقتاً ولكن ليس للأبد؟!

قلت بتعجب:

ما هو؟؟

الطبيب:
أنتِ مقتنعة تماماً بأن كوابيسك تختفي عندما تقومين برسمها،
لقد ناقشت حالتك مع عدة أطباء ووصلنا إلى نتيجة..

ما هي!؟

من الممكن واحتمال أن هذا كله يا ماريا يدور في ذهنك لدرجة أن عقلك الباطني أصبح مبرمجاً على هذه المعادلة، أي عندما بدأت معك الكوابيس قبل سنوات كان من الممكن من الطبيعي أنه شيء اعتيادي أنك مررت بحالة نفسية سواء من الضغوط أو أشياء أخرى لذلك بدأت معاك الكوابيس كثير من الناس يمرون بهذه الحالة وتتوقف الكوابيس بعد فترة لكن أنتِ منعتِها بسبب أن والدتك اقترحت عليك هذا الاقتراح بالطبع على نية أن تساعد ابنتها، وبدأت بالرسم وأوهمتِ عقلك الباطني أنك إذا رسمتِ فسيختفي الكابوس وهكذا إلى أن توصلتِ إلى هذه الحالة! لقد ربطتِ كوابيسك وموهبتك مع عقلك الباطني، لذا القرار هو دعينا نجرب لفترة: مهما رأيتِ من كوابيس لا تقومي برسمها أبداً، ولا تقومي برسم أي شيء آخر توقفي عن الرسم لفترة على الأقل مدته شهرين لنجرب هذا الاقتراح ما رأيك..؟

اكتفيت بالصمت لدقيقة مصدومة من الكلام الذي قاله لي الطبيب؟ هل من المعقول أن يكون كل ذلك صحيحاً؟ وأنا من جعلت من موهبتي نقمة وليست نعمة؟ هل كان اقتراح أمي خطأً وهي تظن أنه صح؟!

لكن كيف أتوقف عن الرسم؟ هذا يعني يطلب مني أن أتوقف عن التنفس التوقف عن العيش! التوقف عن الشغف! التوقف عن حب الحياة! ألا يعلم بأن الرسم يجعلني أشعر بالشجاعة لمواجهة كوابيسي ولمواجهة الحياة؟ ألا يعلم بأنني إذا توقفت عن الرسم فسأتعفن رعباً وخوفاً من الكوابيس، سينال الخوف مني ستلتهمني كوابيسي وأنا حية، إذا توقفت عن الرسم فكوابيسي ستحتل واقعي ستحبسني للأبد فيها! أن أتوقف عن الرسم هذا يعني سأموت ببطء..

قاطع أفكاري صوته مرة أخرى:

لا بأس فكري في الموضوع وعندما تتوصلين إلى قرار أخبريني وأذكرك أيضاً بأن هذا الحل ليس للأبد بل مجرد حل تجريبي حسناً؟ أي يعني إذا تعافيتِ ونجح الحل فستعودين بعدها إلى الرسم بشكل طبيعي..

حسناً شكراً لك أيها الطبيب..

انتهت الجلسة وغادرت العيادة، وبقيت أجول لساعة تقريباً في الشوارع أفكر في كلام الطبيب، وأفكر كيف أستطيع التوقف عن الرسم؟ وإلى أي مدىً ستتمادى كوابيسي إذا توقفت عن الرسم؟! مليون سؤال يدور في ذهني في الدقيقة الواحدة! الحيرة تقتلني من الممكن أن يكون كلام الطبيب صحيحاً ولكنني خائفة كثيراً إذا توقفت عن الرسم فهذا يعني أن الكوابيس ستأكلني! كيف سأستطيع تجاهلها وكأنها لم تكن؟ كيف أستطيع نسيانها وهيَ أصبحت تأتي إلى واقعي؟ كيف سأقاومها وأنا سلاحي الوحيد هو الرسم؟ من دون الرسم لا أستطيع مقاومتها وهزيمتها!..

قاطع أفـكاري اتصـال مـن أمـي رفعـت الهاتـف لأجـد عشـرة اتصـالات! حسـناً لن أسـتغرب هـيَ دائمـاً ما تتصـل علي بهـذا الكم الهائـل عندما أخـرج وكأننـي طفلة بعمر سـبعة أعـوام! علـى العموم أنا عائـدة إلى المنـزل وسـأخبرها بكلام الطبيـب أعرف أنها سـتحزن وستشـعر بتأنيب الضميـر كونهـا صاحبة فكرة الرسـم لكن سـأحاول أن أخبرها بأن هذه كلها توقعات فقط..

لكن عاودت الاتصال مرة أخرى لذا اضطررت أن أجيب عليها:

مرحباً أمي..

ما الأمر لماذا لا تجيبين؟

آسـفة، لقـد خرجـت للتو مـن موعـد الطبيـب ولـم أسـمعه، على كل حال أنا سآتي بعد قليل..

شعرت بأن صوتها متوتر قليلاً! لذا سألتها:

هل كل شيء بخير يا أمي؟!

نعم.. لكـن عليـك العـودة الآن إلى المنزل بسـرعة هنـاك ضيوف يرغبون في مقابلتك..

قلت باستغراب: ضيوف؟

تعالي فقط الآن ولا تتأخري..

حسناً لقد اقتربت من المنزل أراك بعد قليل..

وصلـت إلـى المنـزل بسـرعة كبيـرة، فتحـت البـاب علـى عجـل ودخلت إلى المنزل استقبلتني أمي وكانت ملامحها مليئة بالتوتر!

ما الأمر يا أمي؟ هل كل شيء على ما يرام؟؟

نعم تعالي هناك بعض الأشخاص في غرفة المعيشة..

من هم؟!!

وصلت إلى غرفة الاستقبال مع أمي دخلتها، كان هناك رجلان يجلسان فيها! الأول كان يرتدي معطفاً أسود وهو ضخم البنية ذو بشرة سمراء وشعر خفيف جداً، والثاني كان يرتدي جاكيت جلد أسود اللون وبنطال جينز كان ممتلئ الجسم قليلاً أبيض البشرة شاحب اللون وكأنه جثة تسير!..

تقدمت إلى الداخل وقف الاثنان معاً بابتسامة خفيفة:

قال الأول ذو البشرة السمراء:

مرحباً بك آنسة ماريا..

قلت بتلعثم:

أهلاً.. من أنتما؟؟

قال ذو البشرة السمراء:

أنا المحقق «أرلند» وهذا شريكي المحقق «صامويل «

قلت وأنا أحاول أن أخفي توتري، بالطبع سأتوتر ما الذي يفعله محققان من الشرطة في وسط منزلي!؟

أهلاً بكما تفضلا بالجلوس..

جلس المحققان على الأريكة الكبيرة وجلسنا أنا وأمي على الأريكة الصغيرة المقابلة لهما:

هل تريدان أن تشربا شيئاً؟؟

المحقق أرلند:

لا، شكراً لقد عرضت علينا والدتك بالفعل لكن رفضنا لا بأس بالماء لأنه ليس لدينا وقت..

حسناً كما تشاءان أخبرني الآن هل هناك مشكلة؟!

المحقق أرلند وهو يخرج مغلفاً من جيب معطفه:

هناك بعض الأسئلة أود طرحها عليك فقط آنسة ماريا..

نعم بالطبع تفضل..

فتح المغلف وأخرج منه بعض الصور وضع على الطاولة أمامي صورة امرأة شقراء جميلة، أنا أعرف هذا الوجه تماماً أين رأيته؟!

هل تعرفين هذه الفتاة؟؟

قلت وأنا أنظر إلى الصورة بتمعن:

نعم.. أقصد تعرفت عليها في معرض الرسم قبل أسبوعين تقريباً أليست هذه إليزابيث محللة الرسوم؟! لقد قابلتها فقط في ذلك اليوم واشترت مني لوحة ولم أتواصل معها بعدها أبداً..

المحقق أرلند:

حسناً جيد،، هل تعلمين أنها ماتت..؟

قلت بتردد:

نعم.. صراحة وصلني خبر من صديق لي لقد أحزنني خبر موتها، ولكن أنا ما علاقتي بالأمر..!؟

لم يرد على سؤالي وأخرج صورة أخرى هذه المرة صورة رجل تقريباً يبدو في عمر الثلاثينيات نحيل الهيئة يلبس نظارة طبية يبدو وكأنه مدير مؤسسة أو مدير أعمال أو شيء من هذا القبيل، قال وهو يضع الصورة أمامي:

ماذا عن هذا الرجل؟ هل تعرفينه؟

تمعنت بالصورة وقلت:

أمممم.. صراحة لا، هذا الرجل لا أعرفه ولم أرَه في حياتي..

المحقق أرلند:

هذا الرجل اسمه «لويس» وهو في سن السابعة والثلاثين ومؤسس وصاحب شركة إنتاج الأدوات الخاصة للرسامين..

قلت مسترسلة:

وإذاً؟!

بالحقيقة لقد مات الأسبوع الماضي أو على الأغلب قتل كما قتلت الآنسة إليزابيث أيضاً..

بدأ الخوف والتوتر يسيطران علي: جريمتا قتل والشرطة هنا تحقق معي وأنا لا أفهم بعد ما علاقتي بالأمر!!

قلت وأنا أحاول أن أخفي رعشة يديّ:

إنه لأمر مؤسف حقّاً! لكن لم أفهم بعد ما علاقتي بالأمر؟!

المحقق أرلند:

بالحقيقة الآنسة إليزابيث قتلت بطريقة بشعة جدّاً! لست واثقاً من أنك ستتحملين رؤية صورها لكن لأختصر لك

الموضوع قتلها القاتل وشق فمها من الأذن اليسرى حتى اليمنى كالمهرج تماماً وقام بعدها بتخييط أطرافه! ثم جعل عينها تنزف دماً بعد أن جرح أجزاء من عينيها! والأهم من ذلك كله رأينا اللوحة معلقة في غرفة نومها ومسرح الجريمة، وكانت اللوحة تماثل طريقة قتلها تماماً واكتشفنا أن هذه اللوحة تعود إليك لذلك نحن هنا.. وينطبق أيضاً الشيء نفسه على الرجل،،ثم سكت قليلاً!!

قلت بتوتر:

ماذا! لماذا صمت؟!

حقيقة كان مقتل الرجل أبشع بكثير وكان مرعباً وغريباً ولم نفهم أن هناك حقاً شخصاً قادراً على أن يقتل بهذه الطريقة! حسناً إذا كنتِ ستتحملين رؤية الصور فسأريك صوره!؟

قلت وأنا أحاول أن أمد الطاقة والشجاعة في نفسي أمسكت أمي بيدي ثم قلت:

حسناً لا بأس يمكنني رؤيتها..

هل أنتِ مستعدة؟؟

نعم..!

وضع ثلاث صور أمامي للجثة على الطاولة ما أن رأيتها ارتعشت بقوة وشهقت أصابتني صدمة وتجمد الدم في عروقي اتسعت حدقتا عينيّ! من هول الصدمة التقطت صورة من الصور

الثلاث ورفعتها لنظري أتمعن فيها أكثر! أريد أن أصدق ما أراه؟ هل هذا حقيقي!؟ هل هذا رجل حقيقي؟

قال المحقق وأنا ما زلت أتفحص الصورة وعيناي ممتلئتان بالدموع والخوف:

نعم إنه السيد لويس نفسه صاحب هذه الهيئة الطبيعية سابقاً هكذا وجدناه ميتاً وكانت اللوحة معلقة خلفه على الحائط أيضاً بغرفة نومه، واتضح أيضاً أن هذه اللوحة تعود إليك ولقد اشتراها منك من أسبوعين..

قلت بصوت مخنوق وخافت وراجف:

نعم.. إنها.. إنها، لوحة «اعوجاج»!!

وبالفعل لقد طبقت الرسمة على ذلك الرجل حتى ظننت أنه هو نفسه الذي رأيته في الكابوس!!

أي قاتل يستطيع أن يقتل بهذه الطريقة؟ أي قاتل يستطيع أن يجعل وجه إنسان يصبح معوجّاً!؟ أي قوة يمتلكها؟ وأي قلب يمتلك؟

المحقق وهو يلتقط الصور ويعيدها في الظرف:

لهذا السبب أتينا إليك آنسة ماريا لأن هاتين الجريمتين مرتبطتان بعضهما ببعض والرابط هو اللوحتان واللوحتان تعودان إليك..

أمي بتوتر:

ماذا تقصد هل تتهم ابنتي؟؟!

المحقق بكل برود:

من قال ذلك يا سيدة؟! هذه إجراءات فقط ضرورية لا يوجد أي أدلة أن ابنتك قاتلة وأيضاً سنجعلها من ضمن قائمتين، قائمة سيكون عليها الحذر ومن الممكن أن القاتل سيخطط لأذيتها، وقائمة ستكون من المشتبه بهم وهذا عملنا..

أمي وهيَ تقف بعصبية من مكانها:

ماذا؟ من المشتبه بهم!! من الممكن أن تتأذى ابنتي وأنت تضعها من المشتبه بهم؟! وتتهمها بأنها ارتكبت هذه الجرائم البشعة؟! كيف لفتاة أن تفعل هذا؟ هذا ليس منطقاً؟!

أمسكت بيدَيْ أمي أحاول تهدئتها:

أمي أرجوك اهدئي سيكون كل شيء على ما يرام، إنها إجراءات ضرورية فقط حتى يقبضوا على القاتل الحقيقي سأكون بخير..

الضابط وهو يهم بالرحيل:

ذلك كل ما لدينا الآن، ستكونين تحت المراقبة والحماية في آن واحد، وأيضاً يجب أن تتوقفي عن بيع أي لوحة في الوقت الراهن، وأيضاً إذا كان لديك قائمة أو تتذكرين أسماء بعض الأشخاص الذين اشتروا منك لوحات يرجى منك أن تعطينا هذه الأسماء..

هذا صعب أنا في هذا المجال من أكثر ما يقارب ١٤ عاماً! لقد بعت آلاف اللوحات ومن المستحيل أن أتذكر أي اسم وأيضاً عندما أبيع اللوح لا أهتم بحفظ معلومات الزبون..!

المحقق:

حسناً على الأقل أسماء الزبائن هذه الفترة القريبة مثل هذه السنة والسنة الماضية وخلال هذه الأشهر، إذا عرفتِ فاتصلي بي هذا رقمي..

التقطت بطاقة المحقق:

حسناً سأفعل كل ما بوسعي للمساعدة..

وداعاً..

غادر المحقق وشريكه تنفست الصعداء كدت أن أفقد قلبي لوهلة ظننت أنه سيتم القبض علي! احتضنتني أمي باكية:

ما هذا ما الذي يحدث يا ماريا؟!

قلت لها وأنا أمسك بكتفيها:

أمي أرجوك اهدئي وتنفسي انتظري هنا سأحضر لك ماء وأعود هيا اجلسي..

توجهت إلى المطبخ فتحت الثلاجة تناولت قارورة ماء كانت يداي وجسدي بأكمله ترتعش من هول ما سمعت وما رأيت لكنني أمثل أنني قوية أمام أمي! تمالكت نفسي وتنفست بقوة وعدت إلى أمي،،بعد أن جعلت أمي تهدأ وتنام، توجهت إلى غرفتي يجب أن أركز يجب أن أستوعب ما حدث!!

يداي ترتعشان بقوة قلبي يخفق بشدة لدرجة أشعر بأنه يكاد أن يخرج من مكانه! حاولت السيطرة على نفسي دخلت إلى

المرسم وأغلقت الباب وجلست على الأرض ويداي على رأسي أحاول أن أستوعب ما حدث للتو!؟ تلك الصور للجرائم البشعة جميعها طبق الأصل مثل رسوماتي، حتى ظننت لوهلة أنه يعرض علي صور لوحاتي وليست جثثاً حقيقية متشكلة على هيئة لوحاتي!؟ من يمكنه أن يفعل ذلك؟ وأي قاتل يمكنه أن يقتل بهذه البشاعة! أي إنسان يمكنه أن يحول وجه إنسان آخر ويجعله معوجاً وكيف فعل ذلك أصلاً؟!

انقطعت أفكاري وتساؤلاتي عندما سمعت صوت رنين هاتفي، نهضت من مكاني وخرجت من المرسم أبحث عن الهاتف، أسمع صوته لكن أين هو؟ لقد توقف صوته هذا يعني أنه انتهى الاتصال، اللعنة ليس وقت إضاعة الهاتف الآن أين هو؟؟ أخرجت هاتفي الخاص بالعمل وقمت بالاتصال منه على هاتفي الشخصي، وبالفعل بدأ بالرنين بدأت أبحث عنه لكن بدون جدوى! أخيراً استوعبت أن صوت الرنين قادم من المرسم، عدت إلى المرسم لم يكن المرسم بتلك المساحة الكبيرة كان صغيراً ومرتباً ونظيفاً أي كل شيء واضح أمام الأعين ولكن لا أرى الهاتف أسمع صوته فقط! استمررت بالبحث حتى انتهى الاتصال وعاودت مرة أخرى الاتصال به ها هو أسمع صوته فقط دون رؤيته! الرنين يعلو اقتربت منه أكثر أسمعه الآن بوضوح، إنه خلف تلك اللوحة! توجهت إلى اللوحة وأزحتها لكي أرى ما خلفها لكن لم يكن موجوداً أي هاتف!! انقطع الاتصال

عاودت مرة أخرى الاتصال وها هو يرن أيضاً أسمع صوته في هذه البقعة إنه واضح أنه هنا لكن أين؟ لا أستطيع رؤيته؟!

لحظة!! مستحيل!!... الصوت قادم من داخل اللوحة..!!!!

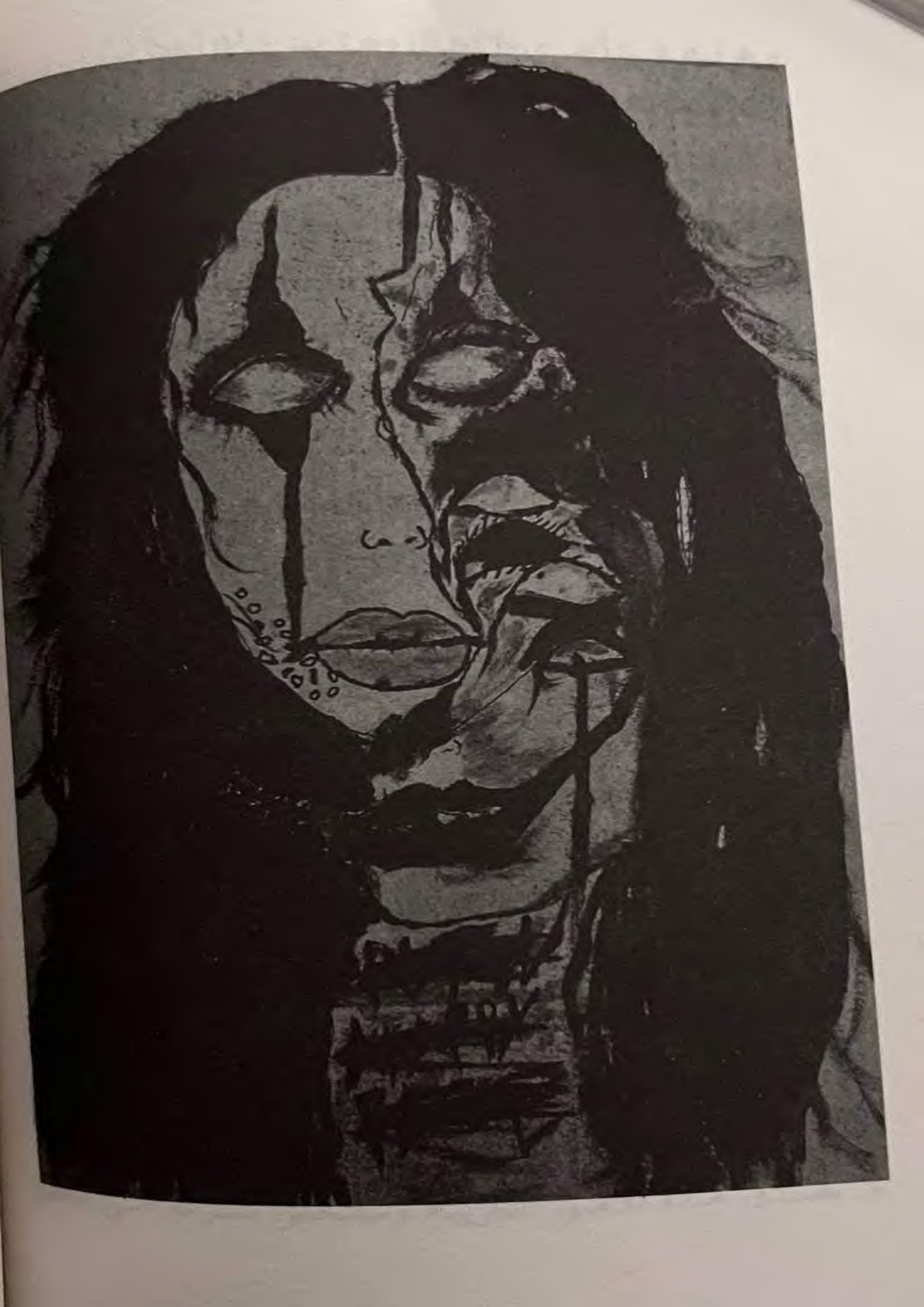
صعقت بالكامل ارتعش كامل جسدي أطرافي تنملت وضعت أذني على اللوحة رغم أنني أرجف خوفاً إلا أنني سمعته!! إنه بعمق اللوحة سمعته بوضوح هذه المرة!! كانت اللوحة بها رسمة عبارة عن وجه مخيف كالعادة ويضع يديه على أذنيه وكأن منزعج من صوت ما!.. في الحقيقة هذه اللوحة إحدى رسماتي التي رسمتها هكذا من مخيلتي بدون كابوس..

لم أعرف ماذا أقول شلت أطرافي عن الحركة ولساني شل عن الكلام! اكتفيت بالصمت والنظر إلى اللوحة هل أنا في كابوس!؟ مستحيل أن يكون هذا حقيقياً!؟ هل أنا في دوامة أخرى من الكوابيس؟ ما الذي يحدث معي؟ هل أنا مختلة أو ما شابه؟ هل هيَ نهاية عقلي وسأصبح مجنونة؟ أسئلة كثيرة تدور في عقلي أصبت بالصداع والدوران لا أعرف لمن ألتجئ؟ من سيساعدني؟ قررت أن أخرج من المرسم وأقفله بالقفل وبالفعل فعلت.. يجب أن أهدأ وأجمع شتات نفسي وأفكاري وأنفاسي..

ما يحدث لي يفوق العقل والتفكير والواقع والخيال! هل أخبر المحقق!؟ لا بالطبع لا تجرئين على ذلك الشرطة بالذات لا تصدق هذه الأمور الغريبة وستخمن بسرعة أنني مختلة

ومجنونة ولدي كل الأمراض النفسية وأنني صاحبة الجرائم وسينتهي الأمر بي في المصحة النفسية للأبد أو بالحكم علي بالإعدام نهاية متوقعة!..

جلست خلف مكتبي وأنا لا أعرف كيف سأتصرف؟ وماذا سأفعل؟ ومن يستطيع تصديقي ومساعدتي؟! لذا التقطت جهاز اللاب توب خاصتي وفتحته أردت أي شيء أي معلومات هل سيستطيع السيد قوقل مساعدتي؟ ولكن ماذا أكتب له؟ وكيف أشرح؟ ما الذي أريده أصلاً؟! شعرت بتعب قاسٍ ونعاس شديد وإرهاق وصداع هل هذا نوم أم حالة إغماء؟ في كلتا الحالتين أغمضت عينيّ ودخلت في سبات عميق..





«ذات الأعين الست»

استيقظت من سباتي أو إغمائي الذي دام ساعتين على صوت رنين هاتفي أيضاً، نهضت وفتحت المرسم شغّلت الأضواء ودخلت إذ أتفاجأ بأن هاتفي على الأرض أسفل اللوحة وكأن هذا الوحش ألقى به إلى الخارج منزعجاً من كثرة اتصالاتي، نظرت إلى الشاشة كانت مديرة المعرض الذي أقيم قبل أسبوعين وعرضت فيه رسوماتي وظهرت ظهوري الأول، قمت بالإجابة على الفور:

مرحباً ماريا..

أهلاً سيدة أليز

هل من الممكن أن تأتي للمعرض؟

استغربت من طلبها لأن الوقت كان متأخراً وكانت الساعة تقريباً العاشرة مساء وأيضاً المعرض مغلق الآن!!

أخبرتها:

الآن!؟ في هذا الوقت؟ أليس المعرض مغلقاً؟؟

السيدة أليز:

نعم مغلق ولكن أنا والإدارة موجودون في المكتب هناك أمر طارئ بخصوص إحدى لوحاتك والأمر لا يؤجل للغد!..

ما بها؟؟ هل تلفت إحدى اللوحات؟ أو سرقت؟!

لا أعلم ما الذي أقول لكن أرجوك تعالي بسرعة لا أستطيع أن أشرح في الهاتف يجب أن تري أنتِ بنفسك يجب أن تتدارك الوضع لأن اللوحة بيعت والمشتري دفع المال وأنت تعرفين ما أن ينتهي المعرض ستذهب كل لوحة إلى المشتري الخاص بها..

حسناً حسناً أنا قادمة الآن سأصل إليكم في دقائق..

حسناً أنتظرك شكراً لتفهمك..

أغلقت الخط وكنت أفكر بتعجب ما الذي حدث للوحة إن لم تسرق أو تتلف؟! هل تنقصني متاعب الآن؟؟ حتى أنني لم ألحق أن أفكر كيف خرج الهاتف فجأة؟ الآن يجب أن أفكر بهذه المشكلة!

ارتديت ملابس مناسبة للخروج وخرجت بسرعة ركضاً أخذت حقيبتي وهاتفي وحتى لم أخبر أمي كانت نائمة والعاملة كذلك! صعدت في سيارتي كان الجو بارداً جداً الليل المعتم والجو البارد الضبابي الهدوء يسيطر على الشارع والسيارات مصطفة بانتظام في جميع الجوانب هذا يعني أن أغلب الناس في منازلهم بالطبع، رغم ذلك شعرت بأن هناك أحداً يراقبني! لذلك توجهت مسرعة قدت السيارة بسرعة كبيرة لم أهتم بالأنظمة والمخالفات لم يكن المعرض بعيداً جداً عن منزلي كان بيننا ما

يقارب ٢٥ دقيقة وبما أن الشوارع فارغة وصلت في ٢٠ دقيقة، نزلت من السيارة بعد أن ركنتها وتوجهت إلى مدخل إدارة المعرض وجدت المديرة في استقبالي ومعها اثنان من الإدارة، واثنان من حراس الأمن وعامل من المعرض! لوهلة قلت لا بد أن اللوحة سرقت! كانت ملامحهم عبارة عن حيرة وصدمة وخوف ووجوههم شاحبة وكأنهم للتو شاهدوا شخصاً ميتاً عاد إلى الحياة! وصلت إليهم وأنا أجمع شتات نفسي:

مساء الخير سيدة أليز ماذا حدث في هذا الوقت المتأخر؟

رحبت بي السيدة أليز وهيَ تحاول أن تخفي توترها ورعشتها:

أهلاً آنسة ماريا نعتذر بشدة لإزعاجك في هذا الوقت المتأخر..

لا بأس هل حدث شيء سيئ؟!

قالت السيدة أليز وهيَ تشير إلى الأمام:

تفضلي آنسة ماريا اتبعيني من فضلك أرى أنه من المناسب أن تري هذا بنفسك..

سرنا معاً أنا والسيدة أليز ومعنا حراس الأمن الذين لم ينطقوا بحرف واكتفوا بالنظرات المتبادلة المتوترة!!

حتى وصلنا إلى شاب يبدو بعمر العشرينيات كان أيضاً يرتدي لباسَ حراس الأمن نفسَه، كان يجلس على الكرسي ومعه اثنان يقومان بتهدئته! كان الشاب يرتعش حرفيّاً لدرجة

شعرت بأنه من الممكن أن يطير من شدة الرجفان والعرق يتصبب منه بغزارة رغم أن الجو متجمد من البرودة، لون شاحب لدرجة الزرقة!

قالت السيدة أليز متحدثة مع الشخص الذي يقوم بتهدئة الشاب:

هل تواصلتم مع عائلته؟

الرجل:

لا.. قال إنه هنا للدراسة والعمل إنه يعيش وحده في هذه المدينة، وعائلته في مدينة أخرى، قال إنه لا يريد أن يقلقهم عليه..

أليز متحدثة إلى الشاب:

أخبرني يا «رويس» كيف حالك الآن؟

رويس بتلعثم وهو يحاول أن يجمع شتات نفسه:

أنا.. أنا أصبحت أفضل، سيدتي شكراً أستطيع الآن أن أذهب إلى المنزل..

السيدة أليز:

أعتذر،، ولكن لا يمكنك أن تذهب إلى المنزل قبل أن تخبرنا بكل شيء..

كنت أقف كالصنم لا أعرف ما الذي يحدث هنا؟ ولا أعرف عن ماذا يتحدثون؟! ولا أعرف ما سبب وجودي هنا!!؟

لذا قررت أن أقاطع حديثهم:

عفواً سيدة أليز! هل من الممكن أن أفهم ما الذي يحصل هنا؟ أنا لا أفهم شيئاً!؟

السيدة أليز:

تعالي معي ماريا وأنت أيضاً يا رويس والجميع أيضاً، سرنا خلفها حتى وصلنا إلى قاعة العرض الرئيسة وتوجهنا إلى منصة العرض التي فيها لوحاتي الأربع، ثم قام أحد حراس الأمن بتشغيل الإضاءة للقاعة بالكامل أضيء كل المعرض كان فارغاً من البشر بالطبع ومليئاً باللوحات التي وكأنني من شدة الهدوء أستطيع سماع أصوات اللوحات، ما أن التفت إلى لوحاتي صعقت!! كانت لوحاتي الثلاث مثل ما تركتها لكن اللوحة الرابعة كانت معلقة لكنها فارغة!! لا توجد أي رسمة فيها لوحة بيضاء فقط!!

اقتربت بخطوات مسرعة إلى اللوحة تحسستها بيدي وأنا في حالة ذهول، ثم التفت إلى السيدة أليز:

ما هذا يا سيدة أليز؟ أين لوحتي؟!

قالت السيدة أليز بتوتر:

بصراحة لا أعرف ماذا أقول شيء غريب حدث ولا نستطيع أن نشرح ما حدث؟ الموضوع يبدو كالجنون أو نعلم بأنك ستغضبين وتظنين أننا نستخف بك فقط لكي نغطي على إهمالنا وأن اللوحة سرقت.!

قلت باستغراب:

وما الذي حدث؟ غير أن إحدى لوحاتي سرقت بالفعل! وأيضا هذه اللوحة مبيعة كان من المفترض أن تذهب إلى صاحبها بعد الغد!!

اهدئي أرجوك يا آنسة ماريا لكن على ما أظن أن لوحتك لم تسرق..!

ماذا؟!

السيدة أليز وهيَ تقترب من اللوحة وتتفحصها بيدها وتشم رائحتها:

انظري هذا توقيعك ما زال موجوداً..

قلت بغضب:

بالطبع موجود على الأغلب هذه حيلة من السارق استطاع تزوير ونسخ توقيعي على هذه اللوحة البيضاء وكأنه يسخر منكم..

نطق أخيراً أحد الرجال الموجودين بتردد متحدثاً للسيدة أليز:

اعذريني يا سيدة أليز لكن أنا أتفق مع كلام الآنسة ماريا ولا أتفق مع خزعبلات هذا الشاب «رويس»، أظن أنه ساعد السارق للدخول إلى هنا كونه يتحكم بالكاميرات وفتح الأبواب وكانت المناوبة الليلة هو المسؤول عنها! أنا أرى أنه هو شريك السارق وهذه خطط منهما، ثم يأتي ويكذب علينا بهذه القصة

التافهة، ثم استرسل في حديثه وهو يتوجه بخطوات مهددة إلى الشاب المرتعش خوفاً وكأنه أساساً ليس موجوداً في عالمنا بل سارح بعالم آخر! قال الرجل الذي كان من الإدارة للشاب رويس وهو يمسكه من ياقته:

اسمعني أيها الطفل اعترف الآن قبل أن نستدعي الشرطة وستكون أنت المتهم الأول بعدها ستخسر وظيفتك وحياتك من الممكن أن نسامحك إذا اعترفت بكل شيء..

توجهت السيدة أليز بسرعة إلى الرجل الذي يمسك بالشاب رويس وينهال عليه بالاتهامات والتهزيء، أمسكت السيدة أليز يد الرجل قائلة:

ماذا تفعل يا «نيث»؟ اترك الصبي وشأنه..

نطق رجل آخر وهو أحد حراس الأمن:

إذاً أنت يا سيد نيث توجه لحراس الأمن الاتهامات؟ صحيح أهملنا في عملنا ولكن ليس معناها أننا نحن من قمنا بسرقتها!

نيث بغضب:

هل تحدث أحد معك أيها الغبي؟ أم أنك تحاول تبرئة نفسك قبل أن تصل الشرطة إلى هنا؟

قال حارس الأمن الثالث:

إذاً دعونا ننهِ الأمر ونتصل بالشرطة فحسب وهيَ ستعرف من السارق!

نيث بسخرية:

بالطبع وسيقدم هذا الشاب الذي يدعي الجنون خزعبلاته وقصته الخيالية كدليل للشرطة وبعدها جميعنا سنذهب إلى السجن..

شعرت بأنني في متاهة لن أستطيع فهمها أو الخروج منها! بدأ الصداع يتدفق إلى أعماق رأسي، هذا ما كان ينقصني أن أتوسط في مشاجرة بين أناس لا أعرفهم في الساعة الحادية العشرة ليلاً!!

أخيراً قاطعتهم بغضب:

توقفوا الآن!! أرجوكم اصمتوا؟ وأوقفوا هذه المسرحية! كما قال ذلك السيد أنا سأتصل بالشرطة الآن لأنها هي الوحيدة التي تعرف أن تنهي هذه المهزلة..

أخرجت هاتفي من حقيبتي لكي أتصل بالشرطة وكنت جدية بالفعل، لكن السيدة أليز أمسكت بيدي:

أرجوك توقفي واسمعي ما الذي سيقوله هذا الشاب..

نيث كالعادة وهو مندفع:

أليز هل جننتِ؟؟ هل ستجعلين صاحبة اللوحة تسمع تلك القصة الخيالية من ذلك الشاب وستصدق؟؟ نحن سنخسر أعمالنا وسمعتنا وكل شيء وأنا لست مستعداً لهذا بسبب ذلك الشاب الكاذب..

نطق الشاب «رويس» أخيراً ولكن كان وضعه يبدو غريباً ومزرياً قال وهو يضع يديه على أذنيه:

أنـا.. أنـا.. لسـت كاذبـاً.. لقـد رأيتهـا! لقـد رأيـت تلـك المـرأة تخرج!! رأيتها تخرج!!

توجهـت إليـه وهـو يكـرر هـذه الكلمـات حتـى وصلـت إليـه جلست بجانبه وقلت له هامسة:

رأيت من؟؟ أخبرني أرجوك سأصدقك!

رويس وما زال بالوضعية نفسها:

هيَ،، خرجت،، رأيتها تخرج..

أنا وبدأ قلبي ينبض بقوة من شدة الخوف والتوتر:

من؟؟ ومن أين خرجت؟!

نطق أخيراً الكلمات التي أتت كالصاعقة على روحي:

المـرأة التـي فـي اللوحـة!! المـرأة التـي كانت مجـرد رسـمة لقد خرجـت مـن اللوحـة تسـير وأنـا رأيتهـا بـأم عينـيّ لديها سـت أعين وأنا واثق بأنها خرجت..!!!!

لحظة صمـت عمت علـى الجميـع أولهم أنـا!! لوحتي التـي تقبع فيها امرأة بسـت أعيـن وفمين وأنفيـن! أعيـن مجوفة بيضـاء وبعضها سـوداء يسـيل منهـا السـواد، فـم أول طبيعـي والآخـر فيـه كل الشـر والبشـاعة! تملـك ابتسـامة بشـعة مخيفـة وأسـناناً بـارزة متراكمـة! ابتسـامة عريضـة مـع فـم مشـقوق ومَخِيـط أيضـاً! بالمختصـر لوحة «ذات الوجهيـن» أو «ذات الأعيـن السـت» تحولـت إلـى حقيقـة وخرجـت مـن اللوحـة!!! لـو لـم تحـدث معـي كل هـذه الأحـداث

التي ظننت أنها هلاوس لقلت هذا الشاب كاذب لكن الآن أنا أصدقه! لم يعد هناك شيء مستحيل!

كسر الصمت نيث كالعادة:

آنسة ماريا لا تصدقي هذا المجنون إنه لأمر مضحك أن يقول حديثاً كهذا في معرضنا العالمي الذي لطالما لسنوات لم يتعرض لشيء مثل هذه التفاهة! أنا أرى أن تتصلي بالشرطة أو سأتصل بهم أنا،،ما أن رفع نيث هاتفه انطفأت جميع أضواء المعرض بالكامل وتحول إلى ظلام دامس معتم لدرجة لم نستطع أن نرى كفوف أيدينا!!

بدأ الجميع يتوترون أخرجنا هواتفنا وشغلنا الكشافات، السيدة أليز وهيَ توجه كشافها يميناً ويساراً:

حسناً اهدؤوا يبدو أنه عطل بالتيار الآن دعونا نسِرْ معاً لنتوجه إلى المخرج ونخرج بعدها نكمل حديثنا،،

نيث وهو يسير أولاً:

أي حديث؟ انتهى الحديث سنخرج الآن وأتصل بالشرطة وأمسكوا بهذا الشاب الكاذب لكي لا يهرب منّا في الظلام..

فجأة سمعنا صوت ضحكة امرأة قادماً من عمق الظلام يتردد صدى ضحكتها في كل أنحاء المعرض!!! قفزنا من مكاننا، بدأ الرعب يدب في قلوبنا..!!

السيدة أليز وهيَ توجه كشافها يميناً ويساراً:

هل سمعتم؟ ما هذا!!؟

حارس الأمن الأول:

ما هذا الصوت؟ إنه قادم من ذلك الاتجاه سنذهب ونتفقد الصوت وأنتم اخرجوا إلى الخارج..

لم أعد مرتاحة للوضع لذا قلت بتوتر:

لا.. دعونا جميعاً نخرج من هنا بعدها نتصل بالشرطة..

مرة أخرى وبصوت أقوى ضحكات مدوّية في الأرجاء!!

هل سمعتم الآن؟!!

نيث:

اكتفيت من هذه المزحة والهراء سآتي إليك وألقنك درساً أيها السارق..

أمسكت بنيث وأخبرته:

سيد نيث افهمني علينا أن نخرج من هنا بسرعة هل تفهم؟ هذه ليست مزحة،،!

إنها هنا.. أخبرتكم أنها هنا!! هم رويس بالنهوض والارتعاش وهو يشير في كل الاتجاهات ويصرخ بهذه الكلمات: لم يصدقني أحد أخبرتكم ما زالت هنا تلك المرأة التي خرجت من اللوحة..!!!

نيث:

هل تغلق فمك الآن!! سنتوجه إلى المخرج ونخرج جميعنا هيا سيروا خلفي..

سرنا بخطوات متسارعة جميعنا الخمسة وبمن فيهم أنا السادسة، نسير بسرعة في عمق الظلام لا نسمع سوى خطواتنا وصوت نبضات قلوبنا وأنفاسنا وبينها ضحكات تلك المرأة ذات الأعين الست!! حرفياً توقف عقلي عن التفكير! أو لا يوجد وقت للتفكير عن ماذا حصل؟ أو لماذا كل هذا؟ أو ما الذي يحدث؟ كنت أركض فقط معهم باتجاه باب الخروج راجية أن أرى نور الشارع مرة أخرى، لكن توقفت أقدامنا عن السير وتقريباً توقفت قلوبنا عن النبض عندما سمعنا صوت صرخة مدوّية كانت على وشك أن تفقدنا السمع!! لم يعد الآن الأمر تحت السيطرة الجميع هلعوا ركض رويس أولاً وتركنا إلى عمق الظلام وهو يصرخ: إنها هنا إنها هنا!! صرخنا جميعنا نناديه لكن بدون جدوى! اختفى وكأن الظلام ابتلعه!!

أمسك نيث بيدي وبيد السيدة أليز وركضنا بسرعة باتجاه المخرج ومعنا الحارسان الاثنان، وأخيراً وصلنا إلى البوابة لكن الصدمة أنها كانت مغلقة بإحكام!!

نيث بتوتر لحراس الأمن:

من أغلق الباب اللعين؟؟

حارس الأمن الأول وهو يتفحص الباب:

لم نغلقه إنه باب الإدارة وهو كان المفتوح الوحيد وبعد دخول الآنسة ماريا لم نغلقه أيضاً!!

السيدة أليز وهيَ ترتعش:

إذاً أين المفاتيح؟؟

حارسا الأمن الاثنان وهما ينظران بعضهما في بعض بتوتر:

صراحة نسخ موجودة في المكتب، والنسخ الأخرى مع الشاب «رويس» لأنه اليوم كان المسؤول عن الشفت الليلي!!

نيث:

تباً لكما هل تعرفان ما مدى فشلكما؟؟؟

السيدة أليز بخوف وتوتر:

إذاً هذا يعني أنه يجب أن نعود إلى المكتب الذي يقبع في الطابق السفلي حتى نحصل على مفاتيح الخروج! سنموت رعباً قبل أن نفعل ذلك!!

نيث:

لن نذهب لأي مكان سيعود الاثنان فقط إلى مكتبهم لإحضار المفاتيح لنا فهما المسؤولان عن كل هذه الفوضى،،

خلال استماعي إليهم كنت أحاول الاتصال بالشرطة لكن كانت الشبكة معدومة كلياً لذا قلت:

لا لن يذهب أحد! لدي خطة تحافظ على سلامة الجميع..

نيث:

ما هي؟

يجب أن نحطم شيئاً نافذة باباً أي شـيء أو نشـعل شيئاً بسيطاً بعدها سيشتغل المولـد الإلكترونـي الاحتياطـي وتنطلـق أجهزة الإنذار وستأتي الشرطة على الفور..

السيدة أليز:

خطة جيدة،،

لـم تنتهِ السـيدة أليـز مـن كلامها حتـى أتى سـكين طائر من عمق الظلام بسرعة هائلة مخترقاً عينها وخارجاً من رأسها!!

عـم الصمـت على الجميع مـن هـول الصدمـة وبعد عشر ثوانٍ مـن الصمـت صـرخ حـارس الأمـن الأول وطـار أمـام عيني وكأن أحدهم سـحبه إلـى عمق الظـلام وهـو يصرخ بشـدة ويستنجد حتى عـم الهـدوء واختفـت صرخاتـه! أتـى الـدور بسـرعة على الحارس الآخر ويـدأ بالصراخ وأمسـك عينيـه وهما تذرفان سـيلاً مـن الدموع الداميـة!! وهـو يصـرخ: عينـاي عينـاي! مـا الـذي يحـدث لـي؟ في مشـهد مرعب ومخيف وصـادم! حتى وقـع أرضـاً ميتاً! مـا أن التفت إلـى الشـخص الوحيـد المتبقـي السـيد نيـث فلـم يكـن فـي حال أحسـن منهم، فقد أخرج السـكين من وسـط رأس السـيدة أليز وكأنه يبـدو منومـاً مغناطيسـياً وبـدون تـردد قربـه مـن حنجرته وذبح نفسه من الوريد للوريد حتى تناثر دمه على وجهي وجسدي!!!

كل ذلـك حـدث فـي ثـلاث دقائـق تقريبـاً! بسـرعة لا يستوعبها العقـل وأحـداث لا يسـتوعبها القلب! وارتسـمت أمامي أبشع لوحة

أراها على أرض الواقع! لوحة ليست من أحد كوابيسي ولا أحد أوهامي ولا خيالاتي ولا هلوستي لوحة تجسدت في الواقع في ثلاث دقائق فقط أمام عيني هذا ما حدث عندما اشتغلت أضواء المعرض فجأة وأنا ما زلت أقف متسمرة في مكاني ودماء السيد نيث ملطخة بجسدي! التفت حولي والدموع تنهمر من عينيّ وجسدي كله يرتعش لأرى الدماء تكونت كالمسبح في أرضية المعرض الجثث متناثرة بطريقة عجيبة في كل زاوية من القاعة! في الزاوية اليسرى حارس الأمن الأول الذي تم سحبه! وكان ميتاً بطريقة من الممكن أن تكون في المركز الأول من البشاعة حرفيّاً كان لسانه مسحوباً للخارج في منظر مقزز مع فكه الذي انقسم إلى نصفين وأسنانه الخارجة إلى الخارج ذهبت عيناي إلى الزاوية الأخرى وكان بها الحارس الثاني الذي نزفت عيناه بالدم وكان بدون عينين!! وفي الزاوية الثالثة كانت السيدة أليز رغم أنها ماتت بجانبي وفي الزاوية الرابعة السيد نيث وهو أيضاً مات أمامي حتى تناثر دمه على جسدي لا أعرف كيف وصلا إلى هناك وهل يجب الآن أن أتعجب وأستغرب من شيء سخيف يعتبر لا شيء أمام الأشياء التي شهدتها الليلة، وكان مسك الختام بعد أن لحظت أن هناك دماً يقطر قادماً من سقف القاعة رغم أن سقف القاعة مرفوع ومجوف جدّاً كما أخبرتكم سابقاً كانت مثل القصر، إلا أنني رفعت رأسي وأنا مستعدة لكل شيء وأي منظر ولكن اتسعت حدقتا عينيّ ونزلت الدموع أخيراً وأطلقت صرخة

مدوّية عندما رأيت الجثة الأخيرة في آخر زاوية للقاعة وهي السقف كانت للشاب «رويس» كانت جثته مسلوخة!! نعم مسلوخ جلده عن لحمه! ومعلق بالمقلوب رأسه أسفل وقدماه في الأعلى مثل الذبيحة التي يتم تعليقها في المسلخة!! لم أتحمل كل هذا لماذا ما زلت في المكان نفسه؟ لماذا لا أستيقظ؟ أنا متيقنة بأن هذا كابوس مستحيل أن يكون هذا واقعاً مستحيل!!! صرخت بكل قوتي وركضت بأسرع ما لدي فتحت الباب وكان مفتوحاً لم أركز بالطبع في أي تفاصيل أخرى عقلي طار مني خرجت إلى الشارع أركض كالمجنونة وأصرخ وأبكي، وصلت إلى سيارتي أخرجت المفاتيح أسقطتها أرضاً، مرة أخرى التقطتها ومرة أخرى أسقطتها أرضاً يداي أصبحتا مشلولتين كلياً لا تستطيعان أن تمسكا بشيء وأخيراً التقطتها للمرة الثالثة وفتحت السيارة وارتميت على المقعد وضعت حزام الأمان وشغّلتها اشتغلت مصابيح السيارة الأمامية رفعت عينيّ المليئتين بالدموع لأراها واقفة أمامي في منتصف الشارع في منظر مهيب ومرعب تقف بشعرها الأسود الكثيف ووجهها الذي يملك وجهاً آخر وست أعين إنها تقف بطريقي بشكلها المرعب لا يوجد سوانا بالشارع أنا وهيَ والظلام، يبدو أنها نهايتي انتهى أمري هذه المرة بالفعل لأن كل شيء خرج عن السيطرة، قررت أن أقود بأسرع ما لدي وأدعسها أو ستبتلعني أنا وسيارتي لا أعلم كل ما أعلمه أن هذا الطريق الوحيد الذي يجب أن أسير فيه وتلك اللعينة تقف في

طريقي! وضعت يديّ على المقود بقوة ودست بقدمي على دواسة الوقود وانطلقت نحوها كالصاروخ وهيَ لم ترمش بأي من أعينها الست رمشة واحدة حتى، اقتربت إليها حتى كان بيني وبينها أقل من خطوة صرخت صرخة قوية صرخة خوف وألم وصدمة فجاءة!! اختفت ما أن اختفت ظهرت أمامي سيارة أخرى وشهقت شهقة الموت وانحرفت بسيارتي كنت أسمع صوت الفرامل والكفرات وأنا أحاول أن أسيطر على السيارة ولكن بدون جدوى بسبب سرعتي الغبية باعتقادي أنني أستطيع أن أدعس امرأة خرجت من لوحة وكانت مجرد رسمة! حتى أتت أمامي شجرة عملاقة أغمضت عينيّ ومر شريط حياتي السخيف والمزري بسرعة أمامي واصطدمت سيارتي بقوة بتلك الشجرة التي لم تتأثر حتى بخدش وعم الهدوء في الأرجاء....



«أمسكت بيدي السواد»

لطالما جميع البشر يعتبرون أن المواهب نعمة، أي موهبة كانت، عندما كنت طفلة لا أتذكر طفولتي كثيراً صراحة لكن كانت مبهمة نوعاً ما من أنا؟ من أين أنا؟ كيف أتيت إلى هذا العالم؟ بغض النظر من هو أبي؟ أسئلة كانت تدور في رأسي دائماً! أحياناً تأتي أفكار إلى عقلي مثلاً هذه ليست أمي! أو أنا فاقدة للذاكرة؟ أو هل أعيش حياة فتاة أخرى!؟ أحياناً أشعر بأنه ليس لي وجود أو مكان على هذه الأرض! منذ أن أصبحت بعمر الثالثة عشرة تقريباً بدأت أميل للرسم ولكن كنت أرى كل الرسومات الطبيعية باهتة مملة غير لافتة بالنسبة لي، في دروس الفنون كان دائماً الطلبة الآخرون يقومون برسم شجرة أنا أقوم برسم جذورها فقط، عندما يقومون برسم وردة أنا أقوم برسم أشواك، عندما يقومون برسم أرنب أنا أقوم برسم أسد! كانت المعلمات يظننَّ أنني أخالفهن من باب عدم التهذيب أو الشقاوة! حتى في مرة من المرات قام الطلبة برسم أنفسهم كل طفل يمسك بيد والده، إلا أنا رسمت نفسي ممسكة بيد وحش غريب طويل ذي أيادٍ طويلة ورأس بارز وأسنان كبيرة لديه ابتسامة عريضة وعينان سوداوان!! عندما أخذتني المعلمة إلى مدير المدرسة وشاهد جميع رسوماتي الغريبة سألني لماذا لا ألتزم بالرسومات التي تعطيها لي المعلمة ولماذا لا أرسم أشياء طبيعية مثل أصدقائي؟ أخبرته بأنني أريد أن أكون مختلفة رسم الأشياء

الموجودة حولنا في الحياة ونسخها لا تغريني! أريد أن أصنع عالماً مختلفاً أشياء مختلفة أرغب بأن أرسم بطريقة كما لو أنني أصور الكوابيس! دائماً أتساءل لماذا لا نستطيع شرح الأحلام أو الكوابيس هيَ أيضاً عوالم أخرى تستحق أن نعبر عنها لكن بعد هذه الحادثة تم استدعاء أمي وقالت لي: يجب أن أتوقف عن الرسم بهذه الطريقة يجب ألا أكون غريبة أطوار! وبالفعل توقفت عن الرسم حتى بعمر الثامنة عشرة عدت إليه بعد أن رأيت أول كابوس وهو كابوس «الرجل المعلق» وكأن مصيري وقدري مرتبطان بهذه الرسومات! أمي قالت لي بأن طبيباً أخبرها بأن الرسم علاج وهناك أيضاً علاج بالرسم في الطب النفسي لذلك اقترحت علي أن أبدأ برسم كوابيسي لكي تختفي! الغريب أنني بعد أن رسمت تلك الرسمة وأنا ممسكة بيد وحش عوضاً عن أبي غضبت أمي غضباً لم أرَه بحياتي كانت المرة الأولى التي أراها تغضب بهذه الطريقة حيث أمسكت بالرسمة ومزقتها لقطع صغيرة وبدأت بتوبيخي وهيَ تدمع لا أعلم لماذا وإلى الآن ما زلت لا أعلم! أمسكت بيديّ السواد منذ أن كنت طفلة أتذكر هذا الحلم أو الكابوس كان أول كابوس في حياتي وأغرب حلم! كنت بعمر العاشرة أرى نفسي أسير في مكان وكأنه سجن أو زنزانات متعددة وقتها لم أكن أفهم ما هذا المكان! أو أين أنا؟ كنت أسير في ممر الزنزانات وجميعها مغلقة حتى وصلت إلى زنزانة مفتوحة كان مستلقياً بها رجل وكان مديراً ظهره لي أي أنني لا أستطيع أن أرى وجهه! كان جسده ضخماً كثيراً وشعره طويلاً

بشرته تقريباً تميـل إلـى الحنطيـة، مسـتلقٍ وكأنـه نائم دخلـت حتى وصلت إلى منتصـف الزنزانة بـدون أن أشـعر بنفسـي وأنـا أنظر إلى ذلك الرجـل المسـتلقي بخـوف كنـت خائفـة أن يسـتيقظ ويرانـي، شعرت بأن قدميّ مبللتان لـذا نظـرت إلـى الأرض حتـى أرى مياهاً أو كأنها مـادة ثقيلة لزجـة حالكة السـواد! رفعـت قدميّ رأيـت أنهما اتسـختا وأصبحتـا سـوداوين بالكامـل! «أمسـكي السـواد بيديـك» ارتعش جسـدي وتبـض قلبـي عندما سـمعت هـذه المقولة مـن ذلك الشخص المستلقي ومـا زال علـى وضعيتـه نفسـها ولم أسـتطع أن أرى وجهه،، كرر الرجل مرة أخرى وبصوت أعلى..:

«أمسكي السواد بيديك»

لـم أعرف مـاذا أفعـل كنـت طفلة لذلـك من شـدة الخـوف نزلت بنفسـي إلـى الأرض وأدخلـت يـديّ فـي تلـك الميـاه السـوداء وأمسـكتها بيديّ ما أن أمسـكتها بـدأ الرجـل بالضحك بهيسـترية وأنا أصرخ حتى استيقظت!!

كان الغريـب أن هـذا الكابـوس رأيتـه فقـط هـذه المـرة وكانـت المرة الأولـى والأخيـرة ولـم أره بعدهـا بحياتـي ولكـن لـم أنسَـه أبداً بحياتي..!



«الكوابيس حرة»

فتحت عينيّ أسمع صوت طنين جهاز أعرف هذا الصوت، احاول أن أتفحص المكان برؤية ضبابية، بدأت الملامح تظهر نعم أنا في المستشفى تذكرت آخر كابوس واقعي حدث معي، لقد تعرضت لحادث بعد أن وقفت المرأة ذات الأعين الست بطريقي لحظة أين كنت ماذا حدث قبلها؟؟ ما أن تذكرت اتسعت حدقتا عينيّ قلبي بدأ بالخفقان بسرعة لقد ماتوا! الجميع هناك في المعرض قتلوا على يدها؟؟ هل كان هذا حقيقيّاً أم كابوساً؟! أنا لم أعد أستطيع التفرقة حتى بين الواقع والكابوس! رأيت بعدها وجهاً شعرت من خلال رؤيته بالراحة والأمان والاطمئنان:

أمي..

قالت وهيَ تبتسم وتربت على شعري:

أو عزيزتي الحمد لله لقد استيقظتِ.. كيف تشعرين الآن؟ الطبيب سيأتي الآن ويقوم بفحصك مرة أخرى..

أمي!

ما الأمر يا عزيزتي؟؟ لا تخافي أنتِ بخير

لم أعرف ماذا أقول؟ وماذا أفعل؟! ولا أعرف كيف أسألها ما الذي حدث؟ وهل هناك شرطة بالخارج تنتظرني لكي تقبض علي بالطبع سأكون أنا المتهمة الأولى! هل أصلاً علم الناس عن

موتهـم؟؟ انهـرت باكيـة بـدون أن أقـول شـيئاً حتـى احتضنتني أمي بقوة وهيَ تطمئنني بأن كل شيء سيكون على ما يرام..

دخـل الطبيـب بعـد أن هـدأت قليـلاً ومعـه ملـف حالتـي وقـال بابتسامة عريضة:

جيـد يـا آنسـة ماريـا جسـمك قـوي ولديـك عزيمـة قويـة لـم تتأذي كثيـراً غيـر رضـوض سـطحية بسـيطة كانـت نجاتـك هكـذا كمعجـزة بمـا أنـكِ سـقطتِ أنـتِ وسـيارتك فـي البحـر مـن علـى جسـر مدينة «ساولا»!

صعقـت عندمـا سـمعت كلمـات الطبيـب!؟ مدينـة سـاولا؟؟ جسـر؟؟ سـقطت في البحر؟؟ لا هـذا كله لـم يحدث!! أنـا تعرضت لحـادث قـرب المعـرض الـذي لا يبعـد إلا دقائـق عـن منزلي واصطدمت بشـجرة! كيف وصلـت إلى جسـر العاصمة الـذي يؤدي إلى مدينـة أخـرى ويبعد الجسـر قرابـة سـاعتين!!! أنـا لم أعـد أفهم شـيئاً!؟ كل هذه الأفـكار كانت فـي عقلي قاطـع تفكيري مـرة أخرى الطبيب قائلاً:

الآن وبمـا أنهـا ظهـرت جميـع النتائـج بأنها سـليمة سـأكتب لك خروجـاً بعـد أسـبوع للاطمئنـان علـى صحتـك أكثـر، ومـرة أخرى حمداً لله على سلامتك..

أمي:

شكراً لك أيها الطبيب..

خرج الطبيب من الغرفة وأنا ما زلت في صدمة كليّاً لم أستوعب أي شيء من كلامه لم أعد قادرة على فهم أي شيء من حياتي! لماذا لم أمتْ في الحادث وأرتحْ من كل هذا العناء والضياع!! حياتي أصبحت جحيماً بل كابوساً بدون نهاية!!

دخلت روجينا مع والدتها وهما تحملان أزهاراً بيضاء التي أحبها ومعها بعض حلوى الشوكولاتة، احتضنتني روجينا بقوة وهيَ تدمع:

يا إلهي عندما وصلني الخبر كدت أن أموت الحمد لله أنك بخير..

قلت بابتسامة وأنا أمسح دموعها:

لا بأس أنا بخير،،

والدة روجينا وهيَ تحتضنني:

الحمد لله على سلامتك يا ابنتي..

شكراً لكِ يا خالة ...

أمي:

هذا لطف منكما أن تحضرا هذه الأشياء الجميلة..

والدة روجينا:

أوه ماذا تقولين! هل نسيت؟ نحن عائلة..

انتهت الزيارة بعد ساعة صحيح لا يوجد شيء ينقذني من هذه الفوضى لكن الحديث مع روجينا ووالدتها أراحني قليلاً لم

أستطع إخبار روجينا عن شيء ولن أستطيع إخبار أي أحد لأنني لا أعرف أساساً ما الذي حدث!؟ أخبرتني روجينا بأن الصحافة تنتظرني عند باب المستشفى بسبب الحادث والجميع يريدون أن يعرفوا حالتي وعندما سألتها إذا كان هناك شيء آخر؟ قالت: لا، لا يوجد! حاولت أن ألمح لها عن أي حادثة بالمعرض أو شيء؟ قالت بأنه لا يوجد أي شيء وقالت بأن المعرض انتهى البارحة وتم إغلاقه حتى العام المقبل بالطبع!!

لذلك بعد أن أقنعت أمي أن ترتاح وتنام قليلاً أخذت هاتفها لكي أتصل بالسيدة أليز هاتفي قد تلف من الحادثة وخصوصاً على قولهم أنني سقطت في البحر! أخذت هاتف أمي ومن حسن حظي أن أمي دائماً تتصرف على أنها مديرة أعمالي وتقوم بتنظيم كل شيء يخصني لذا كان رقم السيدة «أليز» مسجلاً في هاتفها، أخذت نفساً عميقاً وبعدها ضغطت على زر الاتصال، هدوء دام خمس ثوانٍ ثم أتى صوت الجهاز بأن الهاتف مغلق حالياً استغربت وسألت نفسي: هل من المعقول أن تكون نائمة الآن بما أن الوقت متأخر!؟ ما زال لدي أمل بأن ما رأيته مجرد كابوس واقعي وربما أصبحت أسير وأنا نائمة لذلك خرجت من المنزل وكنت أحلم وأنا أقود في السيارة وأن الجميع أحياء!..

وضعت الهاتف وحاولت أن أنام قليلاً ولكن فجأة سمعت صوت بكاء من خارج الغرفة في الممر حاولت تجاهل الموضوع بما أننا في مستشفىً وبالطبع سأسمع هذه الأصوات، لكن ارتفع

الصوت كثيراً حتى شعرت بأنه مزعج جداً! الغريب في الموضوع أن أمي لم تستيقظ رغم صوت صراخ وبكاء هذه المريضة أمي نومها خفيف جداً فهي من ذرة صوت تستيقظ على الفور! لذا انتابني الفضول وقررت أن أخرج إلى الممر لكي أرى ما خطب هذه المرأة؟ أليس معها أي طبيب؟

فتحت الباب بهدوء وأخرجت رأسي فقط ولكن عم الهدوء فجأة! اختفى صراخ وبكاء المرأة! كان الممر هادئاً جداً لدرجة تسمع أنفاسك إضاءة الممر خافتة جداً بما أنه وقت النوم في المستشفى! قررت العودة للداخل لكن لمحت ظلاً في نهاية الممر! كان ظلاً لشخص وكأنه يراقبني وعندما انتبهت له قام بالانسحاب إلى الخلف! شعرت بالخوف لذا عدت إلى الغرفة واستلقيت بدون أي نوم وأنا أفكر وأفكر حتى بزغت الشمس..

أتى صباح اليوم الخامس وخرجت من المستشفى من الباب الخلفي بسبب ازدحام الصحافة في البوابة الأمامية، صعدت إلى السيارة أنا وأمي مع السائق وعدنا إلى المنزل أخيراً، دخلت إلى غرفتي شعرت بأنني اشتقت إليها كثيراً، لكن سرعان ما دخلت أمي علي وهيَ تتحدث بالهاتف:

حسناً هذه المرة فقط أخبرتكم أن تتوقفوا عن إزعاج ابنتي وأيضاً هيَ مريضة للتو خرجت من المستشفى لا تقل بأنك تريد الاطمئنان عليها فقط! أنت تريد أن تزعجها بأسئلتك مرة أخرى..

كنت أقف بدهشة قلت باستغراب:

أمي من المتصل؟ هل هو صحفي؟!

أمي وهيَ غاضبة وتناولني الهاتف:

للأسف لا.. إنه المحقق المزعج يقول بأنه يريد الاطمئنان عليك وأنا أعرف أنه يكذب.

شعرت بالتوتر بدأت يداي تتعرقان تناولت الهاتف من أمي وأنا أقنعها بأنني سأكون بخير:

لا بأس يا أمي سأكون على ما يرام..

أخذت الهاتف وأنا أحاول أن أخفي أنني خائفة أو متوترة:

مرحباً سيدي المحقق هذه أنا ماريا

المحقق:

مرحباً آنسة ماريا يسعدني سماع صوتك الحمد لله على سلامتك

شكراً لك أيها المحقق وأيضاً أود الاعتذار بالنيابة عمّا بدر من أمي..

لا بأس معتاد على تهزيء الأمهات لي فهن دائماً ما يرين الوجه والجانب الجيد لأولادهن!!

بدأ قلبي بالخفقان عندما قال المحقق هذه الكلمات ثم قلت:

عفواً ماذا تقصد؟؟

المحقق:

لا، لا أقصد شيئاً إنها مجرد كلمات! المهم الموضوع الذي أريد أن أتحدث فيه معك هو عن السيدة «أليز» مديرة المعرض العالمي بالتأكيد تعرفينها!

هنا بالفعل شعرت بالغثيان والاختناق! هل تم اكتشاف الجثث؟ هل هذا يعني أن موتهم حقيقي؟؟

قلت وأنا أحاول أن أخفي توتري:

نعم بالطبع أعرفها..

المحقق:

لقد أبلغ زوجها عن اختفائها وأيضاً الغريب أنها ليست وحدها بل معها شريكها السيد «نيث» ومعهما ثلاثة من حراس الأمن كانوا يعملون بالمعرض جميعهم قالت عائلاتهم بأنهم لم يعودوا إلى المنزل منذ ذلك اليوم، هل تعرفين أي يوم؟

أي يوم؟؟

اليوم الذي كنتِ فيه في مدينة «ساولا» وتعرضتِ للحادث،،!

قلت وصوتي بدأ بالرجفان:

حسناً ما هو الغريب بالموضوع أنني كنت في مدينة «ساولا» في وقت اختفائهم؟

أكمل المحقق وهو يتجاهل سؤالي:

أيضاً الغريب أكثر أن السيدة أليز قال زوجها بأنها قالت له ستبقى في المعرض لوقت متأخر بسبب مشكلة وأيضاً قال زوجها بأنها لا تبقى في المعرض حتى ذلك الوقت! والأغرب أنهم ليسوا هم من اختفوا فحسب! بل لوحاتك الأربع التي كانت بالمعرض اختفت أيضاً في اليوم نفسه!!

ماذا؟؟ لوحاتي اختفت!!؟ كيف؟

المحقق:

يبدو أن والدتك لم تخبرك بسبب صحتك، لكن اللوح اختفت وتم تسوية الأمر مع المشترين بمساعدة إدارة المعرض ووالدتك وأيضاً ما أن ينتشر الخبر ستبدأ التساؤلات والإشاعات عن هذا الاختفاء الغريب الجماعي! القضية كبرت كثيراً ولا أريد أن أتهمك بشيء ولكن يبدو أن هناك قاتلاً طليقاً مهووساً بك وهو سبب كل هذه الجرائم والفوضى ولكن الأكثر غرابة أي قاتل يمكنه أن يخفي خمسة أشخاص راشدين بالغين؟! لذلك سنضعهم في موضع الاشتباه بهم حتى نجد أثراً لهم،، هل أنتِ معي آنسة ماريا؟

نعم.. نعم معك لكنني مصدومة من كل هذه الأحداث..! ماذا علي أن أفعل لمساعدتكم؟

أقدر مساعدتك لكن الحقيقة فقط هيَ ما تساعدنا!

ماذا تقصد؟؟

أقصد أنك يجب أن تقولي فقط الحقيقة لا غيرها مهما كان تورطك بالموضوع..

قلت بعصبية:

هل تتهمني مرة أخرى؟؟

المحقق ببرود:

أنا لا أتهمك ولكن الآن لديك حجة غياب أريد أن أسألك ماذا كنتِ تفعلين في مدينة «ساولا» فجأة!؟ أيضاً على حسب الكاميرات تمت رؤيتك وأنتِ تغادرين العاصمة في الساعة العاشرة عبر الجسر بالطبع المسافة بين ساولا والعاصمة ساعتان أنتِ وصلتِ في الساعة الواحدة بعد منتصف الليل والأكثر غرابة أنك لم تذهبي إلى أي مكان في مدينة ساولا أقصد وصلتِ إلى حدود مدينة ساولا ثم عدتِ في التوقيت نفسه وعبرت الجسر وفي الساعة الثانية تقريباً وأنتِ في طريقك إلى العاصمة فقدتِ السيطرة فجأة على القيادة ووقعتِ بالبحر! لم يكن هناك أي ازدحام ولا سيارات كثيرة! أيضاً لم تكوني مسرعة! أيضاً فإن سقوطك من الجسر إلى البحر ووجودك على اليابسة يعني أنكِ استطعتِ الخروج من السيارة من عمق البحر وأنتِ مصابة وتضعين الحزام الذي بالطبع كان خمسين بالمئة عالقاً لكن رغم ذلك خرجتِ! أو أن هناك أحداً قام بإخراجك وهو من قام

بالتبليـغ أيضـاً لكـن لا نعـرف من هـو؟ هـذه تفاصيـل حادثتـك التي قالـت أمك بـأن الطبيـب قـال إنـك لا تتذكريـن أي شـيء منهـا؟ لذا سـأحاول تصديـق والدتـك والطبيـب وأنتظـرك حتـى تتذكـري وما السـبب الذي جعلـك تذهبيـن إلـى مدينـة «سـاولا» أو فقـط تقومين بزيـارة حدودهـا وتعوديـن وكأنك كنـتِ تريديـن أن تصنعي لنفسك حجـة غيـاب وهـذا يعنـي أنـك تعرفيـن مـاذا حـدث للسيدة «أليز» ومساعدها وحراس الأمن!؟..

سـيطر علـي الصمـت وكأننـي فقـدت لسـاني مـن سـماع هـذه الأحـداث المهولـة التي لا أتذكـر أي شـيء منها!! استرسـل المحقق في حديثه:

أتمنـى حتـى ذلـك الوقـت الـذي تسـتعيدين فيـه ذكرياتـك أن تكونـي بالجـوار واعلمي بأننـا نراقبك جيـداً تحياتي وأتمنى لك مرة أخرى الشفاء العاجل..

أغلـق المحقـق الخـط.. وأنـا مـا زلـت مـن شـدة الصدمة أضع الهاتف علـى أذني! أريـد أن أسـتوعب، أرغب بـأن أعرف هـل هناك واحدة أخـرى تعيـش حيـاة أخـرى تشـبهني!؟ نعـم مضحـك لكنني لا أتذكـر أن كل تلـك الأحـداث حدثـت معي أنـا شـخصيًّا! ما حدث معي ومـا أتذكره شـيء آخـر تمامـاً!! ما سـبب كل هذا الـذي يحدث معي؟ هـل هنـاك روح غاضبة تلاحقنـي؟! أو قـوة خارقة!! أو سحرٌ مـا؟ لا أفهـم حقّـاً ولـم أعـد أرغـب بالفهم!! مـا الـذي أفعلـه الآن؟ الشـرطة تشـك بي أنا المتهمـة الوحيدة فـي اختفـاء السـيدة أليز ومن

معها! ولكن أنا الوحيدة أيضاً أعرف أنهم أموات! لكن من سيصدقني؟ وأين جثثهم؟ وكيف تم تنظيف كل تلك الفوضى من بحر الدم الذي كان يملأ المعرض؟!!

قاطع تفكيري صوت نغمة الرسائل من هاتفي وهذا يعني أن هناك رسالة وصلتني! توجهت إلى هاتفي وهو هاتف العمل الذي لا أستخدمه وهاتفي الآخر الشخصي فقد في الحادث، أخرجت الهاتف وعندما رأيت الاسم الذي أرسل لي الرسالة ارتعشت وصعقت!! كان أنا! أقصد من هاتفي الشخصي الآخر الذي فقدته!!! كنت مسجلة اسمي بالطبع في هاتفي هذا! فتحت الرسالة وأنا أرجف كانت رسالة نصية أتى محتواها كالتالي:

«مرحباً آنسة ماريا أعتذر لأنني أخذت هاتفك ولكن كان من الممكن أن يعطي أدلة كثيرة للشرطة تحتاجها لتثبت عليك التهم! أردت أن أقابلك في المستشفى لكن لا أستطيع الظهور أمام الناس! أيضاً أعتذر لأنني أحدثت كل هذه الفوضى في عقلك وغيرت السناريو الخاص بك الحقيقي من ذهابك للمعرض وجعلتك تذهين إلى ساو لا كنتِ تحتاجين إلى حجة غياب! آه أيضاً الفوضى التي حدثت في المعرض أنا توليت أمرها وأعتذر لأنني أخذت لوحاتك كان من باب التمويه فقط للشرطة وهيَ بخير ومعي، أتمنى أن نتقابل سريعاً لأن كل شيء ليس في مصلحتك أيضاً هل من الممكن أن تعيدي لي قداحتي التي أخذتِها من حمام النساء في المطعم أثناء احتفالك مع والدتك أكون شاكراً لكِ تحياتي»

لحظة! ما هذا؟ ومن تكون هذه؟! هل خلف كل هذه الفوضى هذه المرأة؟! هل هيَ تقوم بمساعدتي أو تدمير حياتي؟ لا أفهم كيف استطاعت أن تجعلني في ساولا بدلاً من المعرض وبالتوقيت نفسه الذي كنت فيه في المعرض؟؟؟ كيف استطاعت تنظيف فوضى الجثث وأخذت خمس جثث وأخفتهم؟! كيف استطاعت أن تخرجني من السيارة من عمق البحر؟ أرسلت لها ويداي ترتعشان:

من أنتِ؟؟

انتظرت تقريباً نصف ساعة لم أجد أي رد! لذا بعد تفكير عميق ولن يفرق معي أصلاً أي صدمة سأتلقاها أو فوضى أو أذىً لي لم أعد أهتم لذا قررت مقابلتها أرسلت لها:

حسناً لنتقابل، لكن أين؟

ردت بسرعة كبيرة بثوانٍ فقط:

سنتقابل في موقع بناء قديم سأرسل لك الموقع..

قلت:

مستحيل،، لا أعرف من تكونين يجب أن نتقابل في مكان عام والأفضل أن يكون في الصباح وأنا سأحدد المكان،،

أرسلت:

لا أستطيع أعتذر إذا تذكرتِ أنني قبل قليل أخبرتك لا أستطيع أن أظهر أمام الناس..

قلت لها باستغراب:

ماذا!! لماذا؟ هل أنتِ أيضاً مطلوبة للعدالة!؟

أرسلت:

اسمعي ليس لدي وقت إن كنت تريدين المساعدة قبل أن تنهار حياتك وينتهي بك المطاف في السجن أو مستشفى المجانين فتعالي إلى هذا الموقع غداً الساعة الثانية فجراً لا تخافي صدقيني إنني لا أرغب في أذيتك أبداً..

أتت أمي ومعها بعض الطعام ووضعته بجانبي:

عزيزتي لماذا أنتِ شاردة الذهن هكذا؟ وأيضاً لماذا لا تستلقين على الفراش لكي ترتاحي؟

قلت لأمي مازحة حتى لا أبين لها أي شيء من معاناتي غير المفهومة:

غريبة كنتِ دائماً تتذمرين مني لأنني مستلقية على الدوام والآن تريدين مني أن أستلقي!؟

قالت أمي وهيَ تقترب مني وتضع يديها على وجهي:

بالطبع كنت أفعل ذلك لأنني أريد رؤية وجه ابنتي الجميل معي في صالة المعيشة أليس كذلك؟

قلت وأنا أحتضنها:

بالطبع أمي أعدك بأنني سأعوضك عن كل شيء وسأكون معك دائماً..

وأنا في أحضان أمي كنت أفكر: من هذه المرأة ومن تكون؟ ولماذا تريد مساعدتي؟ أيضاً كيف أستطيع الخروج من المنزل غداً في وقت متأخر جداً بدون أن تشعر أمي؟ وهل سأثق في تلك المرأة أنها لن تؤذيني؟؟

لم أستطع أن أنام في تلك الليلة من شدة الخوف والتفكير بهذا اللقاء رغم أنني كنت في أحضان أمي طوال الليل، أشرقت الشمس وأتى الصباح ويوم جديد هل يحمل لي هذا اليوم الكثير من الاشياء السيئة والصدمات والفزعات لأن هذه هيَ حياتي لا توجد بها خيارات متعددة أبداً، نهضت من السرير وتوجهت إلى الحمام تحممت بشكل سريع فهذه أصبحت عادتي منذ حادثة الحمام بعدها نظرت إلى نفسي في المرآة شعرت بأنني فقدت الكثير من الوزن هالات كثيرة تحت عينيّ وكأنني مدمنة مخدرات الكدمات التي تملأ جسدي من الحادث ومن الكوابيس وكأنني خرجت من معركة مميتة للتو أو أنني أعيش في معركة للأبد معركة مع كوابيسي

ارتديت ملابسي بعد أن أخبرت روجينا أن تساعدني في مهمة اليوم وأن توصلني إلى ذلك المكان في الساعة الثانية فجراً بحكم أنه ليس لدي سيارة، رغم أنني لم أكن أرغب بأن أدخلها في مشكلاتي المرعبة لكن كانت ملجئي الوحيد لذا أصرت أن أخبرها بكل شيء لكن بالطبع لم أستطع أن أخبرها بأنني رأيت السيدة أليز ومساعدها وحراس الأمن يموتون أمام عينيّ أخبرتها فقط

أنني التقيت بها في ذلك اليوم لأن إحدى الشخصيات في لوحاتي اختفت وبعدها غادرت المعرض ولا أتذكر شيئاً، اتفقنا أنا وهيَ على أنني سأقول لأمي: سأذهب إلى منزل روجينا لكي أبيت عندها وسأعود مع مطلع الصباح لتغيير جوي قليلاً، وافقت أمي بالطبع رغم أنها أصرت أن أرتاح هذه الأيام وروجينا تأتي إلى هنا لتبيت في منزلنا، ولكن أقنعتها بأنني مللت من المنزل وأشعر بالاختناق منه لذا وافقت! تناولت الإفطار والغداء مع أمي، بعدها دخلت إلى غرفتي وأخذت حقيبة ظهر على أساس أنني سأبيت في منزل روجينا ولكن بالحقيقة لدي مغامرة أخوضها، وضعت في الحقيبة هاتفي الجديد اشتريت هاتفاً جديداً رغم أني أعرف أن هاتفي لم يفقد وإنما مع تلك الفتاة، ووضعت أيضاً صاعق كهرباء سلاح الفتيات المعتاد تحسباً لهجوم ما! لحظة بقي شيء واحد القداحة؟؟ أين هيَ؟ لقد وضعتها في المرسم لكن هل سأجدها الآن؟ أتمنى أن العاملة لم تلمس المرسم للتنظيف، دخلت إلى المرسم شعرت بأنني لم أدخله منذ عشر سنوات، بدأت أبحث عن القداحة الغريبة التي تخص تلك المرأة حتى وجدتها في ركن القهوة الحمد لله.. تفحصتها مرة أخرى كانت غريبة الشكل مزروعة عليها أسنان وكأنها أسنان بشرية! كتب عليها كلمتان ولكن بلغة غريبة لم أرَها في حياتي!!

عاد شعور التوتر عندما تذكرت أول ظهور لتلك المرأة في حمامات النساء بالمطعم وكيف سمعت صوت كعبها الذي

كان يـدق بـالأرض ورائحـة عطرهـا الغريبـة التـي اكتسـحت دورات المـيـاه مـع رائحــة الدخــان والأغــرب أن الجميــع قالــوا بأنهم لـم يـروا أي امـرأة هنـا وأننـا الوحيدتـان الموجودتـان في المطعم في تلك الليلة!!

ودعت أمـي بعـد أن وصلـت روجينا السـاعة الثامنـة مسـاء تقريباً واحتضنتهـا بقـوة فأنـا لا أعلـم هـذه الأيـام المـوت يصاحبني مثل ظلي فأصبحت دائماً أضع خيار أنني من الممكن أن لا أعود

قالت أمي لنا وهيَ تحتسي فنجان قهوتها:

استمتعا ولا تنسي يا روجينا أن تبلغي تحياتي لوالدتك ووالدك..

حسناً يا خالة

وأيضاً انتبهي لماريا تعلمين أنها للتو خرجت من المستشفى..

قلت وأنا أنتعل حذائي:

ماذا تقولين يا أمي؟ أنا لست طفلة.. هيا روجينا وداعاً أمي

روجينا:

وداعاً يا خالة ولا تقلقي ماريا في أيادٍ أمينة..

وصلنا إلـى منـزل روجينـا ودار بيننا أحاديـث طويلة كانت طوال الوقـت تقنعنـي أن لا أذهـب إلـى تلـك المـرأة أخبرتهـا وأنا أمسك بيديها:

هل تثقين بي؟؟

بالطبع أثق بـك ولكن أنـا خائفـة عليك، ولـم أفهم أي شـيء بعد من كل الأشياء التي قلتِها!!

أخبرتـك ياروجينـا بـأن تلـك المـرأة هـيَ مـن سـاعدتني علـى الخروج من السيارة وهيَ بعمق البحر حتى أن هاتفي معها،،

حسـناً إذاً لمـاذا لا تخبريـن الشـرطة فحسـب؟ مـن الممكـن أن تكون هيَ المسؤولة عن كل شيء؟!

لا لـن أخبـر ذلـك المحقـق الغبـي إنـه يتهمنـي فـي كل شـيء لن يعطيني فرصـة أبـداً ولـن يصـدق هـذه القصـص الخرافيـة الخياليـة أيضاً إذا لزم الأمر فسيجعلني شريكتها..

حسـناً سـأخبرك بأننـي سـأقوم بإيصالـك إلـى هنـاك ولكـن لـن أتركك سأقابل معك تلك المرأة

لا، يجـب أن تنتظرينـي بالسـيارة كمـا اتفقنـا إذا هنـاك أي شـيء طـارئ فسـأقوم بالضغـط علـى سـاعتي لكـي يصـل لـك تنبيـه بعدها اتصلي بالشرطة..

قالت بغضب:

هل أنتِ مجنونة؟؟

افهمينـي يـا روجينـا ليـس لـدي خيـار آخـر حياتـي علـى وشـك الانهيـار والشـرطة تراقبنـي علـى الـدوام وهـيَ تتهمنـي بجرائـم شنيعة..

حسناً حسناً ولكن سأكون بالقرب منك هل فهمتِ!؟

حسناً موافقة..

دقت ساعة الوقت المحدد الساعة الواحدة بعد منتصف الليل قررنا أن نتحرك متجهتين نحو الموقع، أخبرنا والدة روجينا بأننا ذاهبتان إلى صديقة أخرى أيضاً ولكن لن نتأخر سنعود سريعاً وأساساً وقتها كانت نائمة وبالطبع أغلب الناس نائمون في هذا الوقت إلا الكوابيس! سرنا على خطا الموقع الذي أرسلته لي تلك المرأة كان يبعد عن المنزل أو عن معالم الحياة والمدينة تقريباً ساعة ونصف الساعة!! خرجنا وابتعدنا عن كل شيء يشع بالحياة والأنوار والأنفس والبشر والمنازل وأصبحنا في شبه صحراء طريق غير معبد رمل وحصىً وظلام دامس بالطبع!! لا توجد سيارة غير سيارتنا بدأ الرعب يدب في قلبي وقلب روجينا نظرت إلي وأنا ما زلت مركزة ببصري على السيد قوقل ماب:

لا أعلم ولكن يقول بأن وجهتك هنا! أين لا أعلم؟

روجينا وهيَ توزع بصرها في الظلام:

عن أي وجهة يتحدث!؟ لا يوجد شيء هنا سوى الظلام يا ماريا هل ترين؟

نعم أرى!! لا تحاولي أن توتريني لا أريد أن أتوتر!!

روجينا:

انظري ألم تقل لك بأنه مبنىً مهجور أو لم يكتمل بناؤه!؟

بلى، أين؟ هل ترينه؟

نعم إنه هناك أمامنا..

انطلقت روجينا نحو الأمام كان هناك مبنىً ضخم أبيض لم يكتمل بناؤه وكأنه مهجور منذ قرن! وكأنه ظهر من عمق الظلام فجاءة! وصلنا إليه كان مبنىً تقريباً من خمسة طوابق متهالكة ومتآكلة! لا أعلم أي مبنىً هذا تم وضعه هنا في عمق هذه الصحراء بالتأكيد سيكون مشروعاً فاشلاً! نزلت ونزلت معي روجينا كان الجو بارداً جدّاً والرياح جافة والظلام دامساً،، تركنا السيارة في قيد التشغيل لأننا نحتاج إلى إضاءتها،،

قالت روجينا وهيَ تضم يديها من شدة البرد:

الآن أين هيَ؟ هل يمكن أن ترسلي لها أو تتصلي بها؟

قلت وأنا أتفحص الهاتف:

لا أعرف لأخشى أننا تأخرنا، لقد قالت الساعة الثانية يجب أن أكون هنا ولكن الآن الساعة أصبحت الثانية والنصف

حسناً وما أدرانا بأنها ستختار مكاناً هكذا في نهاية العالم؟! جربي وقومي بمراسلتها.

حسناً لقد أرسلت لها أتمنى أن ترد..

انتظرنا قرابة دقيقتين فجأة سمعنا صوتاً قادماً من العدم أو من الظلام!!

روجينا بتوتر:

هل سمعتِ؟؟

نعم.. تقريباً!! لا أعرف من الممكن أن يكون حيواناً هنا مكان خالٍ وبالطبع ستوجد حيوانات!!

روجينا وهيَ تشعل كشاف هاتفها وتوجهه يميناً ويساراً:

أعلم يا ماريا وأيضاً الحيوانات مخيفة وخطرة ماذا إن هجم علينا حيوان مفترس فجأة؟

كنت سأرد عليها ولكن وصلت رسالة أخيراً من تلك المرأة وكان محتوى الرسالة كالتالي:

مرحباً ماريا لقد تأخرتِ كثيراً حتى ظننت أنكِ لن تأتي، أنا أراك إذا رفعتِ رأسك فسترين ضوء الهاتف في الطابق الخامس ولكن هناك مشكلة يجب على صديقتك أن تبقى في السيارة وإلا فلن أستطيع مقابلتك ومساعدتك وأيضاً لا تقلقي عليها من هنا نستطيع مشاهدتها ستكون في أمان أنتظرك لا تفكري كثيراً الوقت ينفد منك.»

قرأت الرسالة بصوت عال لتسمع روجينا ثم رفعنا رؤوسنا إذ نشاهد ضوء الهاتف كما قالت لكن لم نستطع أن نميز من الشخص الذي يمسك الهاتف من شدة الظلام،، لكن.. لن أسمح لكِ بالذهاب إلى هناك وحدك أنا لا أشعر بالارتياح، قالت روجينا وهيَ ما تزال تنظر للأعلى..

لا بأس أنتِ ابقي في السيارة فقط خمس دقائق أستطيع أن أراكِ من الأعلى،، ولكن أنا لا أستطيع أن أراكِ إذا حدث لكِ شيء ماذا أفعل؟.؟

أمسكت بكتفيها:

روجينا أرجوك اهدئي سأكون بخير وسيكون كل شيء على ما يرام حسناً؟! قمت باحتضانها وجعلتها تصعد إلى السيارة وتقوم بتأمين الأبواب وأنا بدوري نظرت إلى روجينا نظرة اطمئنان وكانت تمثيلاً وأنا في قلبي كل الخوف والتوتر في الكرة الأرضية واستنشقت نفساً عميقاً وتوجهت إلى المبنى ولم أكن أعلم بأن هذه المرة الأخيرة التي سأرى فيها صديقة عمري «روجينا»

كان درج المبنى طويلاً ومخيفاً ومتهالكاً وكأنه سيهوي بي مع كل خطوة أخطوها ومعها سيهوي قلبي من شدة الخوف! درجة درجة ومع كل درجة يأتي في مخيلتي مليون سيناريو عن اللقاء الذي سيحدث بعد ثوانٍ فقط! درجة درجة مع كل درجة أحسب عمري السابعة والعشرين وهل سينقص الآن؟ أم يزيد؟ درجة درجة مع كل درجة أتخيل إذا أصابني شيء فكيف ستعيش أمي وكيف ستتصرف بقية حياتها؟ درجة درجة وأخيراً وصلت إلى الطابق الخامس وأنا أشعر بأني مع كل درجة صعدتها فقدت خمسين نفساً وخمسين حياة ماذا تبقى لي لأواجه المرأة التي سأقابلها الآن وماذا ستقول لي؟ وكيف ستساعدني؟ ومن هيَ أصلاً؟؟

روجينا بتوتر:

هل سمعتِ؟؟

نعـم.. تقريبـاً!! لا أعرف مـن الممكن أن يكـون حيوانـاً هنا مكان خالٍ وبالطبع ستوجد حيوانات!!

روجينا وهيَ تشعل كشاف هاتفها وتوجهه يميناً ويساراً:

أعلـم يـا ماريـا وأيضـاً الحيوانـات مخيفـة وخطـرة مـاذا إن هجم علينا حيوان مفترس فجأة؟

كنت سـأرد عليهـا ولكـن وصلـت رسـالة أخيراً مـن تلـك المرأة وكان محتوى الرسالة كالتالي:

مرحبـاً ماريـا لقـد تأخـرتِ كثيـراً حتـى ظننـت أنكِ لـن تأتـي، أنا أراك إذا رفعـتِ رأسـك فسـترين ضـوء الهاتـف فـي الطابـق الخامس ولكن هناك مشـكلة يجـب على صديقتـك أن تبقـى في السـيارة وإلا فلـن أسـتطيع مقابلتـك ومسـاعدتك وأيضـاً لا تقلقـي عليها من هنا نسـتطيع مشـاهدتها سـتكون في أمان أنتظرك لا تفكري كثيـراً الوقت ينفد منك.»

قـرأت الرسـالة بصوت عـال لتسـمع روجينا ثـم رفعنا رؤوسنا إذ نشـاهد ضـوء الهاتـف كمـا قالـت لكـن لـم نسـتطع أن نميز من الشـخص الذي يمسـك الهاتف من شـدة الظـلام،، لكن.. لن أسمح لـكِ بالذهـاب إلـى هنـاك وحـدك أنـا لا أشـعر بالارتيـاح، قالت روجينا وهيَ ما تزال تنظر للأعلى..

لا بأس أنتِ ابقي في السيارة فقط خمس دقائق أستطيع أن أراكِ من الأعلى،، ولكن أنا لا أستطيع أن أراكِ إذا حدث لكِ شيء ماذا أفعل؟.؟

أمسكت بكتفيها:

روجينا أرجوك اهدئي سأكون بخير وسيكون كل شيء على ما يرام حسناً؟! قمت باحتضانها وجعلتها تصعد إلى السيارة وتقوم بتأمين الأبواب وأنا بدوري نظرت إلى روجينا نظرة اطمئنان وكانت تمثيلاً وأنا في قلبي كل الخوف والتوتر في الكرة الأرضية واستنشقت نفساً عميقاً وتوجهت إلى المبنى ولم أكن أعلم بأن هذه المرة الأخيرة التي سأرى فيها صديقة عمري «روجينا»

كان درج المبنى طويلاً ومخيفاً ومتهالكاً وكأنه سيهوي بي مع كل خطوة أخطوها ومعها سيهوي قلبي من شدة الخوف! درجة درجة ومع كل درجة يأتي في مخيلتي مليون سيناريو عن اللقاء الذي سيحدث بعد ثوانٍ فقط! درجة درجة مع كل درجة أحسب عمري السابعة والعشرين وهل سينقص الآن؟ أم يزيد؟ درجة درجة مع كل درجة أتخيل إذا أصابني شيء فكيف ستعيش أمي وكيف ستتصرف بقية حياتها؟ درجة درجة وأخيراً وصلت إلى الطابق الخامس وأنا أشعر بأني مع كل درجة صعدتها فقدت خمسين نفساً وخمسين حياة ماذا تبقى لي لأواجه المرأة التي سأقابلها الآن وماذا ستقول لي؟ وكيف ستساعدني؟ ومن هيَ أصلاً؟؟

تقدمت إلى الطابق بخطوات حذرة ومرتعشة أشعر بالحر الشديد رغم أن الجو بارد جدّاً! بدأ جبيني بالتعرق وأنفاسي متقطعة وصلت إلى منتصف الطابق أو الغرفة أو السطح أو أيّاً يكن!! شممت رائحة أعرفها! تذكرت رائحة الدخان الغريبة هذه مختلطة مع ذلك العطر الغريب إذاً هيَ نفسها تلك المرأة التي كانت في دورات المياه في المطعم، فجأة بدأ قلبي بالخفقان اتسعت حدقتا عينيّ تراجعت خطوات للوراء بعد أن خرج من عمق الظلام رجل وليس امرأة!!

ما زلت أتراجع بخطوات مرتعشة وأحاول أن أتحسس بيدي في الحقيبة للبحث عن سلاحي الهش الكهربائي الذي لا يخيف حتى فأراً! خرج أخيراً بشكل كامل وفزعت أكثر عندما رأيت أنه كان يلبس نصف قناع على وجهه!! كان طويل القامة عريض المنكبين يرتدي معطفاً أسود طويلاً وبنطلوناً وقميصاً أسود مع شال أيضاً أسود وحذاء أسود وقفازات سوداء! وقناعه النصفي كان أيضاً أسود! كان شكل القناع المنتصف الوجه ذا ملامح غاضبة شريرة وكأنه نصف وجه لشيطان ما!! شعره أيضاً لا يخرج عن الأمر كان أسود وناعماً ومنسدلاً مع قصته النصفية ونحته! وما ميزته من النصف الآخر لوجهه الحقيقي كان أبيض البشرة رموشه طويلة وحادة وكأنها مستعدة لجرح شخص ما! عيناه سوداوان والسواد يغطي على البياض بشكل غير طبيعي أنفه أيضاً حاد كالسيف ويقف بشكل مستقيم، يملك شفاهاً صغيرة، وهناك

علامة جمال محفورة بشدة حتى إنها تلمع من عمقها على خده الأيسر بالطبع لأن جهة اليمين كان يغطيها بالقناع! هذا كان وصف الرجل الذي ظننت أنه امرأة! كان باختصار وكأنه قادم من عمق الظلام أو هو سيد الظلام..

رعب رعب رعب!! نطق بأولى كلماته هذه بصوته الحاد، قالها وهو يرمي سيجارته أرضاً ويدوس عليها،، ثم أكمل وهو ما زال يقترب بخطوات واثقة ومرعبة باتجاهي وأنا ما زلت أتراجع للخلف وما زلت لا أجد هذا الصاعق اللعين الذي لا أعرف ما الذي سيفعله في جسد هذا الرجل الطويل! وأين سأضعه؟ وكيف أصلاً؟

لماذا برأيك الإنسان يكون مرتعباً دائماً؟

سأل هذا السؤال وهو يخرج من جيبه شيئاً ما ومن شدة توتري وقعت أرضاً حين ظننت أنها نهايتي كالعادة!

هل تبحثين عن هذا؟؟

قالها وهو يقلب الصاعق الكهربائي الخاص بي بين يديه!!؟ ماذا مستحيل! كيف أخذه مني؟ ومتى؟

ثم استأنف حديثه:

هل تتوقعين أن هذا سيؤثر على أحد؟؟ مبتذل جداً يجب أن تطوري من مهاراتك لقتال شخصٍ ما

قلت وأنا ما زلت واقعة على الأرض وجسدي كله يرجف بصوت متلعثم:

أين؟؟ أين هيَ..؟ أخبرني هل أرسلتك أنت؟؟

قال ببرود:

من؟

تلك المرأة التي تحدثت معي عبر الهاتف!

انحنى بجسده الطويل باتجاهي وجلس على قدميه أمامي وكأن أمامه طفلة باكية أضاعت منزلها ووالدتها وقال وهو ما زال يقلب في الصاعق الكهربائي:

ومن قال إن من تحدثت معكِ امرأة؟ كنت أنا من أرسل لك الرسائل وأنتِ قررتِ من تلقاء نفسك أنني امرأة وحدثتني بصيغة مؤنث لذا تركتك ولم أصحح لكِ أحياناً اكتشاف الحقيقة يجعل المرء يتراجع عن قرارات!

لا مستحيل! أخبرتني أن أحضر القداحة التي تركتها في دورة المياه للنساء في المطعم وأيضاً أنا متيقنة من أن مَن رأيتها في دورات المياه كانت امرأة!! أنت شخص كاذب!

وقف وهو يمد لي يده:

هيا انهضي سأخبرك بكل شيء،،

قلت وأنا أتراجع للخلف:

لا تلمسني أنا سأغادر لأنني أتيت إلى هنا لمقابلة شخص آخر وليس أنت أيها الغريب!

صدقيني أنا هو الشخص الذي تريدين مقابلته، أيضاً لا أستطيع أن أفسر لك كل المعادلات الصعبة في هذا الوقت

الضيق! مثلاً لا أستطيع إقناعك بأنني أنا من كنت بدورة المياه في المطعم في ذلك اليوم، وأنا من أخرجتك من المعرض الذي ماتت فيه السيدة أليز ومساعدها نيث وحارس الأمن الشاب رويس والاثنان الآخران! أيضاً أنا من جعلتك تذهبين إلى ساولا أو بطريقة ما أوهمت الجميع والشرطة بأنك لم تذهبي إلى المعرض وذهبتِ وقتها إلى ساولا وكنتِ خارج العاصمة! وأنا من جعلتك تسقطين في البحر من أعلى الجسر وحرصت أن لا يصيبك أذىً وأخرجتك بعدها! وأيضاً أنا من كنت بالمستشفى عندما سمعتِ صوت امرأة تصرخ ورأيتِ ظلي! وأنا وأنا وأنا كنت ألازمك فترة طويلة من حياتك! أعلم بأنك لن تصدقي كل هذا لذلك أخبرتك من المستحيل أن أقنعك وأفسر لك كل شيء اليوم دعينا فقط نتحدث في الموضوع الأهم بهدوء حتى عقلك يستوعب كل شيء سأقوله..

قلت وأنا في صدمة:

يستوعب!! لماذا؟ يوجد أكثر من هذا الذي قلته؟ أيضاً أنا لا أفهم أي شيء مما قلته كيف استطعت فعل كل ذلك!؟ وأنا متيقنة بأن من في دورات مياه النساء كانت امرأة!؟ كيف تقول بأنه أنت؟؟

أخبرتك يتطلب الأمر هدوءاً لكنك ترفضين الإنصات إلي!

بالطبع لن أنصت إليك، من تكون أنت أصلاً؟؟

لا أعرف..

قلت بتعجب:

ماذا؟؟

قال وهو يسير للأمام ويقف على حافة السطح:

صديقتك،،

قلت بتوتر:

ما بها؟؟

ما زالت تنتظر أقصد يجب أن ننهي حديثنا لليوم حتى تعودي إليها..

حسناً قل ما لديك الآن وبسرعة..

الضحية التالية أعرف من سيكون الضحية التالية..

قلت وأنا أتقدم إليه:

ضحية ماذا؟

ضحيتك القادمة،،

ماذا؟؟ كيف تتجرأ وتقول هذا أمامي؟ هل تظنني أنني القاتلة!!؟

لا أنتِ لست القاتلة ولكنك عون للقاتل بطريقة ما..!

ماذا تقصد؟؟ لا تتلعب بي وتظن أنني سأصدقك وسأصدق كل كلمة تقولها،!

قال وهو يشعل سيجارة ويضعها في النصف الظاهر من فمه:

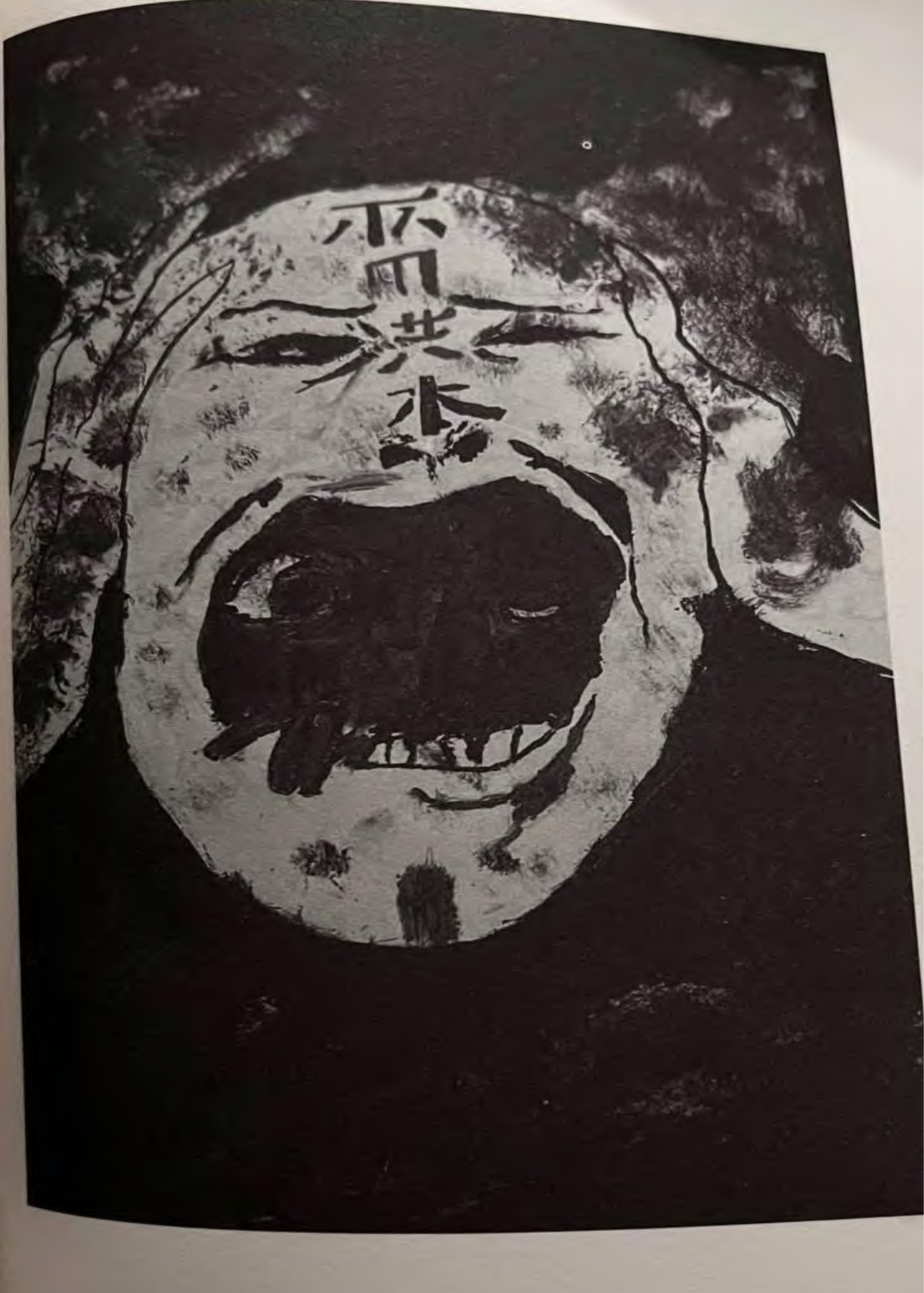
ومن قال بأنني مهتم بتصديقك أو عدمه؟ في النهاية أنتِ الخاسرة الوحيدة هنا لا أحد غيرك،، استرسل في حديثه وهو ينفث بعض الدخان من سيجارته ذات الرائحة الغريبة! على العموم يجب أن أثبت لكِ حتى تصدقيني أو بالأحرى حديثك المطول معي والمماطلة في عدم الإنصات لي ستكون عاقبتهما وخيمة!!

قلت بتوتر:

ماذا تقصد؟ هل تهددني؟؟

قال وهو يعود إلى الحافة وينظر إلى سيارة روجينا:

أنا لا أهددك كنت أريد أن أخبرك بأن الضحية القادمة هيَ صاحبة لوحة «يولد بداخلنا وحش» هل تعرفين من هو صاحب اللوحة؟ لأنه على ما يبدو الوقت نفد!





«كل إنسان يولد وداخله وحش»

في عز خوفي وتوتري ونفسيتي الصعبة التي كنت أعاني منها في الأيام الماضية ومن الأحداث المرعبة والغريبة، بعد المعرض تقريباً وبعد حفلة ميلادي ونجاحي وقبل حادثة موت السيدة «أليز» في يوم مشرق ولطيف وفي يوم العاشر من شهر فبراير أتت إلي «روجينا» وكانت سعيدة ومتحمسة وأحضرت العديد من الحلوى والقهوة، جلسنا معاً كالعادة في المرسم ثم سألتها وأنا أتناول الحلوى:

تبدين اليوم غريبة! وجميلة أيضاً! وسعيدة أكثر! أخبريني ما الأمر؟؟

قالت بخجل وحماس:

«مانويل» لقد عرض علي الزواج..

فتحت فمي باتساع مترين من شدة الدهشة والسعادة وقلت وأنا أصرخ:

ماذا!!!! أخيراً!! احتضنتها وأنا أردد: تهانينا يا عزيزتي أخيراً سأحضر زفافكما،،

قالت بسعادة وهيَ تمسك يديّ:

انتظري هناك شيء آخر أيضاً

قلت بحماس:

ماذا أيضاً؟ ما هو الشيء الأفضل من عرض الزواج؟

قالت هامسة وبخجل:

أنا حامل من مانويل لذلك كان سعيداً واتفقنا على الزواج!...

صرخت مرة أخرى بسعادة عارمة وهيَ تحاول أن تسكتني لكن بدون فائدة، كان هذان أجمل خبرين تلقيتهما في الفترة الأخيرة!

ثم بعد سهرتنا الطويلة معاً قالت روجينا:

هل ستعطينني لوحة هدية؟؟

قلت لها بابتسامة:

ماذا تقولين؟! سأعطيك عينيَ إن أردتِ لكن سأفكر لكِ في هدايا أخرى ما الذي تريدينه بلوحاتي المرعبة الكئيبة؟ وأنتِ مقبلة على حياة جديدة؟

قالت وهيَ تنهض بحماس متجاهلة كلامي:

أريد هذه اللوحة..

التفت حتى رأيتها تشير على لوحة رسمتها تقريباً من عامين لكنني لم أعرضها للبيع لأنني كنت معجبة بها جداً

وأيضاً قبل عامين وقبل عام حتى كنت أتخلص من كوابيسي فقط عن طريق رسمها وليس هناك الحاجة لبيعها لكي أتخلص من الكابوس مثل الآن.

التفت لأرى اللوحة التي تشير عليها وكانت لوحة «نولد في داخلنا وحش»

كانت عبارة عن امرأة تصرخ من أجل الولادة وتستمر في الصراخ لكي تضع ابنها، لكن في حين تنتظر ابنها يخرج من أسفل معدتها يخرج ابنها من فمها بعد أن يشقه! هذا كان ملخص ذلك الكابوس المزعج الدامي! الذي لا أرغب بتذكره أبداً! لذلك رسمت اللوحة فقط وجه المرأة وابنها الوحش يحاول الخروج من عمق فمها!

قلت لها:

لماذا أنتِ مصرة على هذه اللوحة سأرسم لكِ واحدة أخرى أفضل،،

قالت وهيَ تلتقط اللوحة:

غلفيها أريدها حقّاً أيضاً لقد أعجبتني جدّاً إذا كنتِ تظنين أنها ستكون فأل شؤم علي فلا تقلقي لن تكون كذلك، أريد أن أصحح لك هذه المعلومة ليس كل ما بداخلنا وحوشاً الوحوش لا تولد من بطون أمهاتهم وحوشاً بل تولد ملائكة لكن الحياة تجعلهم وحوشاً..

ابتسمت واحتضنتها بعدها غلفت لها اللوحة وأعطيتها هدية لها وقالت بأنها ستعلقها في منزلها الجديد هي وزوجها، حقاً لم أتوقع يوماً أن الأحداث ستكون وستحول هكذا وأن الكوابيس ستصبح على أرض الواقع! وأن كل كابوس في اللوحات سيخرج ويقتل صاحب اللوحة..

لنعد إلى الواقع المر والمظلم مرت علي هذه الذكرى بشكل سريع عندما سألني هذا الرجل الغريب من هو صاحب لوحة «نولد وبداخلنا وحش» لأنه سيكون الضحية التالية وهو ما زال ينظر إلى سيارة روجينا بالأسفل!

بدأ قلبي يخفق بشدة ويداي ترتعشان، شعرت الآن بأن الهواء البارد يسير في خلايا دمي! قلت وأنا أهز برأسي بالنفي لعدم التصديق:

مستحيل! أنت تكذب؟ حتى سمعت صوت صرخة مدوية كانت صرخة روجينا!! بدون أن أشعر بنفسي ركضت بسرعة البرق واخترقت سلالم المبنى الطويلة التي كادت تقطع انفاسي في الصعود! كنت أركض متجهة إليها وأصرخ باسمها:

«روجينا انتظري أنا قادمة»

وكأنني سأستطيع أن أحميها من المجهول! ولكن كنت سأختار أن أموت معها!! وصلت أخيراً لأرى السيارة مازالت

على قيد التشغيل ولكن الهدوء عمّ المكان! ذلك الهدوء المرعب القاتل ذلك ما يقصد به في مقولة الهدوء قبل الكارثة!!

شعرت بأن قدميّ لا تستطيعان السير من شدة الخوف والتوتر أرغب بأن أنكر، بأن لا شيء حدث معها! لا أريد أن أصل إلى السيارة لأرى ما حدث! بدأت بمناداتها وأنا أسحب قدميّ باتجاه السيارة:

روجينا.. هل أنتِ بخير؟ هل تسمعينني؟ أرجوك أجيبيني!!

شهقت عندما شعرت بيد تمسك بي! التفت لأرى ذلك الغريب لحق بي قائلاً بهدوء:

أنصحك لا تشاهدي ذلك لقد فات الأوان..

أتت كلماته علي كالرصاصة التي تخترق الصدر والقلب وتخرج من الظهر! أصبحت أنفاسي متقطعة، امتلأت عيناي بالدموع سحبت يدي من يده قائلة بصوت يرتجف:

إياك أن تتدخل هيَ بخير وأنا سأرى ذلك،،

لم يمنعني وتركني أذهب وليته أمسك بي مرة أخرى وأصر علي بعدم رؤية هذا المشهد المرعب:

وصلت عند باب السيارة وكانت نافذة روجينا كلها مظللة بالدماء نظرت إلى أسفل الباب وكانت أيضاً تتسرب الدماء

من داخل السيارة عزمت أمري وأمسكت بمقبض الباب وفتحته وليتني لم أفتحه،،

قتلت روجينا وماتت بنفس طريقة المرأة في الكابوس وبالرسمة نفسها! انشق وفتح فمها ووجهها معاً بطريقة بشعة وقاسية وكأنه هناك مخلوق اخترقها وخرج من داخلها! جميع جسدها ممزق بطريقة مرعبة، السيارة تسبح بالدماء والأحشاء!! بعدها صرخت أقوى صرخة في حياتي حتى أظن أن شياطين الصحراء سمعتني! وسقطت مغشية علي..

«الكابوس والحلم كلاهما ليسا حقيقيين، لكنني دائماً أحب كوابيسي لأنها تقدم لي الامتنان على إبداعي..»!

دانيال..